الزمزمۃ القمریۃ فی الذعن الخمریۃ

تالیف:

الامام احمد رضا القادری رحمۃ اللہ تعالیٰ

تعریب:

ممتاز احمد السدیدی

الباحث بالازہر الشریف

مؤسسۃ الشرف لاہور، پاکستان

Marfat.com

Marfat.com

الزمزمة القمرية

فى الذب عن الخمرية

تأليف

الإمام أحمد رضا خان

القادرى البريلوى

تعريب

ممتاز أحمد سديدى

الباحث بالأزهر الشريف

مؤسسة الشرف

بلاهور باكستان

Marfat.com

الطبعة الأولى

١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

يطلب من :

Maktaba Qadria

Jamia Nizamia Rizvia Lahore (Pakistan)

Maktaba Rizvia

Data Darbat Markeet Lahore (Pakistan)

Idara-i-Tahqeeqat-e-Imam Ahmed Raza

25, Japan Mansion, 2Floor, Raza Chowk

(Regal)Sadar, Karachi(Pakistan)

Marfat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

التعريف بالمصنف وتأليفه

بقلم

فضيلة الشيخ محمد عبد الحكيم شرف القادرى

-حفظه الله تعالى ورعاه-

الحمد لله الذى هدانا بالحبيب المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم وأكرمنا بنعمة الإسلام ، والصلاة والسلام على خير الأنام سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد فإن رسالة ((الزمزمة القمرية فى الذب عن الخمرية)) والتى نحن بصدد التعريف بها وبمصنفها الإمام أحمد رضا خان القادرى الحنفى والذى يعد علما من أعلام الطريقة القادرية والفقه الحنفى فى شبه القارة الهندية بما فيها باكستان وبنجلاديش والهند والذى كان من كبار المصلحين فى منطقة شبه القارة ، وما زالت مؤلفاته فى شتى العلوم الإسلامية ودواوينه فى مدح الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بالعربية والفارسية والأردية تحتل مكانة مرموقة فى شبه القارة . وإننا سوف نحاول كشف الستار عن جانب من جوانب شخصية هذا الإمام الجليل قدر استطاعتنا فنقول :

حظيت شبه القارة الهندية بعدد كبير من أولياء الله الصالحين على مر العصور والسنين والذين دفعوا مسيرة الدعوة الإسلامية إلى الأمام ، كانت دعوتهم إلى الله سبحانه وتعالى على أساس الحكمة والموعظة الحسنة ، وما زال المسلمون فى كل من باكستان وبنجلاديش والهند يحتفلون بذكراهم السنوية حبا وتقديرا وعرفانا بالجميل ، ونذكر أسماء بعض أولئك

Marfat.com

الصالحين على سبيل المثال لا الحصر ، منهم الشيخ على بن عثمان الهجويرى ، والشيخ معين الدين الجشتى الأجميرى ، والشيخ نظام الدين الجشتى البدايونى ، والشيخ فريد الدين الجشتى ، والشيخ بهاء الدين السهروردى الملتانى ، والشيخ أحمد النقشبندى السرهندى ، وكان الإمام أحمد رضا خان أحد الأولياء الصالحين من أبناء الطريقة القادرية ، والذى يحتفل المسلمون بذكراه سنويا فى مدينة بريلى بالإضافة إلى مدن هندية وبلاد أخرى .

إن حفاوة المسلمين بذكرى أولياء الله الصالحين فى شبه القارة بما فيها اليوم باكستان وبنجلاديش والهند تشبه الاحتفالات التى تعقد بمناسبة إحياء الذكرى السنوية لأهل البيت وأولياء الله الصالحين فى مصر نذكر من أهل البيت سيدنا الإمام الحسين ، ومولانا على زين العابدين ، والسيدة زينب، والسيدة رقية ، والسيدة سكينة ، والسيدة فاطمة النبوية ، والسيدة نفيسة نفيسة العلم والمعرفة ، والسيدة عائشة بنت سيدنا الإمام جعفر الصادق رضى الله عنهم أجمعين ، ونذكر من أولياء الله الصالحين فى مصر، مولانا أبا الحسن الشاذلى (حميصره) والإمام عبد الرحيم القنائى (قنا) ، والإمام أحمد البدوى (طنطا) ، والإمام إبراهيم الدسوقى (دسوق) والإمام الشافعى (القاهرة) ، والإمام المرسى أبا العباس (الإسكندرية) ، والإمام البوصيرى (الإسكندرية) والإمام عبد الحليم محمود شيخ الأزهر الشريف سابقا (بلبيس) والإمام محمد متولى الشعراوى (دقادوس) ، وقد سعدت بزيارة أضرحة أغلبهم بصحبة الشريف وجاهت رسول القادرى

Marfat.com

فـــى شهر جمادى الآخرة ١٤٢٠هـ الموافق لشـــهر ســـبتمبر ١٩٩٩م . حـــيث إن قبورهم تذكرنا بالآخرة وتحثنا على خير العمـــــل ، والإقبـــال على الله، والإعراض عن الدنيا ، رحمهم الله رحمة واسعة .

من المعلوم أن الجد الثالث والرابع والخامس للمصنف تـــولى كـــل منهم مناصب حكومية عليا فى أواخر عهد المغول بالهند ، وقـــد اســـتقال الشيخ أعظم على خان -الجد الثالث للمصنف العلامـــة- مـــن منصبـــه الحكومى تفرغا للعبادة ، وكانت هذه نقطة انطلاق هـــذه الأســـرة مـــن المناصب الحكومية إلى الدعوة والإرشاد ، ثم جاء دور مولانا الحافظ كاظم على خان - الجد الثانى للمصنف العلامة - فقد تولى منصب الصرافة فى الجيش واستقال أخـــيرا من منصبه هذا رغبة فى الدعوة والإرشاد والإقدام على العبادة لله -سبحانه وتعالى- أما مـــولانا محمد رضا عـــــلى خـــان النقشبندى - الجد الأول للمصنـــف الفاضل - فلم يفكر فى الحصـــول على المناصب الحكومية الرفيعة بل انكب على دراسة العلـــوم الإســـلامية والعربية ، ثم وهب نفسه لنشر الدعـــوة الإسلامية ، ثم جاء الدور علـــى مولانا محمد نقى على خان القادرى -والد المصنف- الذى نهل من فيـــض العلوم الإسلامية والعربية وأسهم فى دفع الدعوة الإسلامية إلى الأمام .

هذه هى النبذة الموجزة عن الأسرة الذى زهدت فى الدنيا وأقبلت على العبادة والعلم وبالتالى لعبت دوراً ملموســـاً فـــى النهـــوض بالأمـــة الإسلامية ورفع راية الإسلام عالية خفاقة ، وقد كان لهؤلاء الصالحين تأثير بالغ فى نفس الإمام أحمد رضا خان ، والشيء من معدنه لا يستغرب ، فقد

Marfat.com

كان جده الأول مولانا محمد رضا على خان من أبناء الطريقة النقشبندية ومن كبار علماء الأحناف فى الهند ، كما كان والده مولانا محمد نقى على خان من المنتسبين إلى الطريقة القادرية ومن أعلام الفقه الحنفى فى شبه القارة ، هذا ولم نستطع أن نعرف عن أجداده إلى أى الطرق الصوفية كان انتماؤهم ، والذى عرفنا عنهم أنهم كانوا من الزاهدين فى الدنيا ونعيمها والراغبين فى عبادة الله -سبحانه وتعالى- والآخرة .

بعد هذا التمهيد الموجز الذى نرجو ألا يكون مملا نعود إلى الحديث عن العلامة المصنف فضيلة الإمام أحمد رضا خان وتصوفه المستمد من القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف فنقول : ولد الإمام فى بيت علم وفضل ، وفى أسرة متدينة تسير على منهج الشريعة والطريقة ، وهكذا نشأ الإمام فى جو روحى ، فكان منذ طفولته منقاداً للشريعة الإسلامية الغراء ، ويعود فضل تنشئته على هذا النهج القويم إلى جده ووالده بصفة خاصة بعد فضل الله -سبحانه وتعالى- وفى هذا يقول مولانا محمد أحمد المصباحى: ((إن الشيخ أحمد رضا خان تمسك بالشريعة الإسلامية طوال حياته ، ولم يغفل فى أى فترة من حياته عن القيام بالفرائض والواجبات وعن اتباع السنة المطهرة ، فأصبح قلبه مزكى ومطهراً حيث ظهرت عليه ملامح نور المعرفة الإلهية وهو فى ريعان شبابه ، وهذه الحقيقة المدهشة تتجلى لكل من يطالع حياة الشيخ أحمد رضا خان ولو بالنظرة السريعة)) .

لقد عكف الإمام أحمد رضا خان على دراسة علوم الشريعة منذ

Marfat.com

صباه حتى أنه أكمل دراسة العلوم الإسلامية والعربية السائدة فـــى شـــبه القارة آنذاك ثم أقـــبل على دراسة علوم الطريقة وتزكية الباطن ، وعـــن هذا يحدثنا الأستاذ إعجاز الحق القدوسى قائلا: أقدم الشيخ أحمد رضا خان على تزكية الباطن بعدما أكمل دراسة العلوم الظاهرية (الإسلامية والعربية) فأخذ عن الشيخ آل رسول المارهروى الطريقة القادرية فى عام ١٢٩٤هـ الموافق للعام ١٨٧٧م وفى نفس الوقت تشرف بالإجازة فـــى الحديـــث والطريقة القادرية بجانب الطرق الصوفية الأخرى ، الأمر الذى جعله مجمع البحرين (الشريعة والطريقة) .

ويزيح مولانا محمد صابر نسيم البستوى الستار عن سبب الشرف الذى حظى به الإمام أحمد رضا خان القادرى حيـــث إن شـــيخه أكرمـــه بالإجازة فى الطرق الصوفية بعد أخذ الطريقة بقليل وذلك على غير عادته إنه القائل : ((كان الشيخ آل رسول المارهروى)) يذرب مريديـــه علـــى المجاهدة والتربية الروحية وذلك من أجل تزكية النفس ، ثم يمنح الإجـــازة والخلافة لمن يراه مناسبا ، ولكنه منح الشيخ أحمد رضـــا خـــان القـــادرى ووالده مولانا محمد نقى على خان القـــــادرى الإجـــازة والخلافـــة دون تكليفهما بالمجاهدات ، وكان هذا الأمر مثيرا للاستغراب عند بعض المريدين له ، فتقدم الشيخ أحمد أبو الحسن النورى بالسؤال عن سر هذا الأمـــر إلى الشيخ آل رسول المارهروى والذى رد على السؤال قائلاً : يأتينى النـــاس بقلوب تحتاج إلى المجاهدة لتزكيتها ولكـــن جاءنى أحمد رضا خان بقلـــب زكى طاهر ، فلم يكن قلبه بحاجة إلى التزكية بالمجاهدة بل كان يحتـــاج إلى

Marfat.com

الانتساب للطريقة وهذا الذى حصل له بأخذ الطريقة .

لقد قام العلامة المصنف الإمام أحمد رضا خـــان القـــادرى بمهمـــة الإرشاد خير قيام ، وخاصة بعدما نال الإجازة فى الحديـــث والطريقـــة ، فانكب على الدعوة والإرشاد والرد على البدع والمنكرات ، وقام بهـــذه المسئولية من خلال مواعظه . وحواراته فى المجالس ، والمؤلفات القيمة .

يقول الداعية الإسلامى الكبير فضيلة الشيخ السيد يوسف الســـيد هاشم الرفاعى متحدثا عن قيام الإمام أحمد رضا خـــان القـــادرى بالمهمـــة الإصلاحية : ((وقد قـــام بالمهمة خير قيام ، وكان يغـــار علـــى الشـــريعة والطريقة معا ، ويرفض التفريق بينهما ، وكان يقول : إن الشريعة منبـــع والطريقة بحر انفجر من هذا الينبوع ، ولا يمكن الوصول إلى الله -سبحانه وتعـــالى- إلا بالسلوك على الشريعة ، ومن سلك طريقـــا غـــير طريـــق الشريعة هلك وضل عن طريق الحق)) .

وهكذا عاش العلامة المصنف فقيها حنفيـــاً ، ومرشـــداً قادريـــاً ، ومقاوما للبدع فى عصر الانهيار السياسى والثقافى والاجتمـــاعى الـــذى شهدته الهند . وفى هذا العصر المصحوب بالفتن والحوادث تصدى لـــلرد على خطط الإنجليز ومحاولات الهنادكة لإذلال المسلمين ، كما قام بـــالرد على الفتن التى نشأت باسم الإسلام ، وأقدم كذلك على مقاومة الأفكـــار الزائغة التى انتشرت باسم التصوف ، جزاه الله خيراً عن الإسلام والمسلمين وجعله الله ممن رضى عنهم ورضوا عنه ، وما ذلك على الله بعزيز .

Marfat.com

هذه الرسالة :

تعد هذه الرسالة ((الزمزمة القمرية فى الذب عن الخمرية)) من مآثر العلامة المصنف فى التصوف ، وله مؤلفات قيمة أخرى فى هذا المجال نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ((الزبدة الزكية فى تحريم سجود التحية)) ألفها فى الرد على من يرى صحة سجود التحية للصالحين ، فأثبت الإمام أحمد رضا خان القادرى حرمة سجود التحية لغير الله – سبحانه وتعالى– وألف كذلك ((مقال العرفاء بإعزاز شرع وعلماء)) قاصداً بها الرد على بعض المنتسبين إلى التصوف والذين لا يرون الشريعة والعلماء موضع الكثير من الاهتمام ، ويفرقون بين الشريعة والطريقة ، وهكذا قام العلامة المصنف بمقاومة كل فكرة راها زائغة .

لقد اندفع المصنف الفاضل إلى تأليف رسالته هذه فى الدفاع عن القصيدة الخمرية للشيخ عبد القادر الجيلانى والذى أحبه العلامة المصنف حباً جماً ونظم فى مدحه قصائد ورباعيات وأبيات رائعة بالعربية والفارسية والأردية ، ولقد أقر نسبة الخمرية هذه إلى مولانا الشيخ عبد القادر ثم انتقل إلى الرد على من توجه بالطعن فى عربية القصيدة فكتب فى ذلك عشر نكات[1] هى :

---

(١) استخدم المصنف فى الأصل كلمة ((نكتة)) ، وهى مسألة لطيفة أخرجت بدقة نظر وإمعان فكر من نكت رمحه بالأرض أثر فيها وسميت المسألة الدقيقة نكتة لتأثر الخواطر فى استنباطها . =

Marfat.com

النكتة الأولى : فى الاحتفاء بقواعد اللغة العربية وإهمالها .

النكتة الثانية : فى بيان عدم الاهتمام بقواعد الإعراب من طرف بعض الأئمة والعلماء الكبار .

النكتة الثالثة : فى حال اللغة غير لغة الأم .

النكتة الرابعة : فى أقسام الفن وأحكامه التى يجعلها المتكلم فيها نصب عينها .

النكتة الخامسة : الضرورات الشعرية وآفاقهـــا الواســـعة وذم الانغماس فيها .

النكتة السادسة : السبب النفيس لصدور كلمات رفيعـــة مـــن أولياء الله الصالحين .

النكتة السابعة : فى أن أولياء الله تعالى يلحنون عن عمـــد فـــى بعض الأحيان ولهم فيه أسرار .

النكتة الثامنة : إهمال الأولياء الأجلاء والأئمة والعلماء الكبـــار فى أمر العربية .

= (انظر : التوقيف على مهمات التعاريف للمناوى ص٧١٠) .

Marfat.com

النكتة التاسعة : أن الكمال فى اللغة لا يعد من كمـــال أهـــل الكمال بل يعد من الزوائد .

النكتة العاشرة : لحن المحبوبين أحب من صواب الآخرين .

ومن مطالعة هذه النقاط العشرة تتجلى لنا ثقافة المصنـــف متعـــددة المناحى ، ورسوخه فى العلم ، فإنه أفـــاد من نبع الحديث النبوى الشريف، وكلام الفقـــهاء ، والأدباء ، والصوفية فقـــام بمهمته العلمية خير قيـــام . أجزل الله له المثوبة .

لقد طلب الشريف وجاهت رسول القادرى ترجمة هذه الرسالة من ابننا العزيز ممتاز أحمد السديدى إلى اللغة العربية أيام كـــنا فى مصر ، حيث سعدنا بزيارة مراقد أهل البيت وأولياء الله الصالحين كما تشرفنا بـــالحضور فى رحاب الأزهر المعمور خلال هذه الرحلة ، حـــيث كان لنـــا شـــرف اللقاء مع فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الأستاذ الدكتور محمـــد ســـيد طنطاوى حفظه الله تعالى .

لقد كانت رغبة الشريف وجاهت رسول القادرى فى ترجمة هـــذه الرسالة نظراً لـــما تحتوى عليه من البحوث الأدبية فلبى ابننا البـــار ممتـــاز أحمد السديـــدى الباحث بـــالأزهـــر الشريف مطـــلبه وبدأ الترجمة غـــير أنه لم يستطع أن يكملها إلا عند عودته إلى باكستان لجمع المـــادة العلميـــة

Marfat.com

لرسالة العالمية ((الدكتوراه)) وقتئذ عرضنا أمر التخريج على مولانا عبـــــد النذير السعيدى فقام بالتخريج .

وهكذا تمت الترجمة والتخريج ، ويقوم مركز بحوث الإمام أحمد رضا بكراتشى مشكوراً بطبع هذه الرسالة ، أسأل الله أن يجزى خيرا كل مـــن أسهم فى إخراج هذه الرسالة إلى النور ، وصلى الله تعالىٰ على خير خلقـــه سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وعلماء ملته وأولياء أمته والمسلمين أجمعين.

تحريراً فى غرة جمادى الأول

١٤٢١هـ

كتبه

محمد عبد الحكيم شرف القادرى

أستاذ الحديث النبوى الشريف

بالجامعة النظامية الرضوية بلاهور

Marfat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

تقريظ

لفضيلة الشيخ محمد القادرى الشامى

الحمد لله الرحيم الكريم الغفار ، القادر العلى القهار ، بارىء الليل والنهار ، مجلى الأسرار لعباده الأبرار ، والصلاة والسلام على سيد الأخيار ، وإمام الأنبياء والرسل الأقمار ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وكل من فى فلكهم دار ، بعدد ورق الشجر وقطر الأمطار ، صلاة ينجو قائلها من عذاب القبر والنار . ورضى الله عن الغوث الصمدانى والكوكب النورانى سيدنا ومولانا الإمام عبد القادر الجيلانى وعن مصنف هذه الرسالة ، وعن كل المجددين العلماء العاملين بهدى سيد المرسلين - صلى الله عليه وسلم- وبعد :

فإنه من فضل الله -سبحانه وتعالى- ومنه وكرمه علىّ أن جعلنى من أتباع وذرية سيدنا ومولانا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأكرمنى كذلك أن جعلنى من المحبين لقطب رحى العارفين سيدنا عبد القادر الجيلانى -قدس سره الأنور- وإنى قد كلفت بكتابة تقريظ لترجمة أخى الفاضل الشيخ ممتاز أحمد السديدى لرسالة العلامة الفقيه الحنفى الحنيفى ، المحدث ، الأديب ، سيدى الشيخ أحمد رضا خان -رحمه الله تعالى- فأقدمت على كتابة هذه الكلمات رجاء البركة بأثر من آثار هذا الولى الصالح المحب الصادق لصاحب العلم الوافر والحال الظاهر سيدى ومولائى الشيخ عبد القادر الجيلانى ، نفعنى الله وجميع المحبين لشيخنا

Marfat.com

الجليل بعلومه وأحواله وأفاض علينا من بركاته وبركات كل الصـــالحين ، آمين .

لقد اطلعت على هذه الرسالة النفيسة ((الزمزمة القمرية فى الذب عن الخمرية)) والتى دافع فيها العلامة المصنف بشدة عـــن الخمريـــة إذ أن بعض المعاصرين له أنكروا نسبة هذه القصيدة إلى سيدى الشيخ عبد القادر الجيلانى ، تلك القصيدة العصماء التى أتى بها ناظمها هائما فـــى الحـــب الإلهى ، والتى نسمع دويها فى العالم الإسلامى أجمعه ، تلقاهـــا المســـلمون كابرا عن كابر بوصفها قصيدة لسيدنا ومولانا الجيلانى فكالوا وما زالـــوا ينالون من بركاتها حتى عصرنا الراهن ، إذ روى أن من بركاتها على مـــن يقرأها أنه يزيد فهمه بالعربية وإن لم يكن من أهلها وغـــير ذلـــك الكثـــير والكثير .

وإن نسبة هذه القصيدة إلى سيدنا الشيخ عبد القادر الجيلانى لمـــن الثوابت التى لا ينكرها إلا من لم يتذوق حلاوة معانيها والروحانية السارية فى كيانها ، وإن من يطعن فى لغة هذه القصيدة بقصد نفيها عن ناظمهـــا فلا نملك إلا أن نذكره الحديث القدسى ((من عادى لى وليا فقـــد آذنتـــه بالحرب)) ونوصيه بتقوى الله عز وجل .

إن مولانا الشيخ عبد القادر الجيلانى لم يتفرغ لنظم الشعر إنما أقدم على النظم من وقت لآخر لكى يعبر عن أحواله فى الحب الإلهى حتى تكوّن له ديوان شعر والذى يعد جزءا هاماً من وجدانيـــات الأدب الصوفـــى ، والخمرية التى نحن بصدد الحديث عنها إحدى قصائده التى اشتهرت فـــى

Marfat.com

الآفاق ، فقد لاحظت فى بلادى بلاد الشام أن الخمرية هذه تقـــرأ بنيـــة الفيض والفتح فى العلم خاصة في اللغة العربيـــة ، وإن المجـــالس لتعطـــر بقراءتها .

لم ينظم شيخنا الجليل بالعربية دونما تمكن منها بل قرض بها عن إلمام بها وتعمـــق فيها ، حيث إنها لغة أجداده المسلمين ودينه الحنيف ، فـــإن نسبه الشريف يمتد إلى سيدنا حســـين من طريق أمه ، وإلى سيدنا الحســـن من طريق أبيه ، وهذا ما ثبت عند المحققين من أهل التاريخ والنسب ، ومن هنا تتجلى عروبته .

هذا وإنه تضلع من العربية وآدابها بالدراسة ثم بالتدريس فالعطـــاء الإلهى ، لقد درس العلوم الإسلامية والعربية منذ صباه ببالغ الشـــغف ، إذ أنه بدأ الدراسة بحفظ القرآن ، ثم توجه إلى كبار علماء بغداد لتلقى العلوم الإسلامية والعـــربية ، تـــعلم الأدب واللغة العربية على يد أبـــى زكريـــا يحيى بن على التبريزى ، لقد تصدر شيخنا للتدريس حيث كان يقرأ عليـــه فى اليوم أكثر من ثلاثة عشر درسا فى مختلف العلوم فانتفع به وأخذ عنـــه كبار العلماء كالمقادسة ومنهم قدامـــة بن جعفر، وتربع على كرسى الوعظ كذلك فألقى بالخطب العربية الرائعة ذات إيقاع فى نفوس المستمعين والتى نتمتع بمطالعتها ضمن كتابه ((الفيوض الربانية)) والتى تدل على تمكنه مـــن نـــاصية اللغة العربية ، وقد أورد الإمام الشطنوفى أن شيخنا الجليـــل رأى جدهِ –صلى الله عليه وسلم – وإليكم تمام القـــصة على لسان مرشـــدنا الكبير الشيخ عبـــد القادر الجيلانى حيث يقـــول : رأيـــت رســـول الله

Marfat.com

-صلى الله عليه وسلم يقـــول : يا بنى لم لا تتكلم (أى تخطب) ؟ فقلت : يا أبتـــاه أنا رجل أعجمى فـــكيف أتكلم على فصحاء العرب ببغـــداد ، قال لى : افتح فاك ففتحته فتفل فيـــه سبعا ، وقال لى : تكلـــم وادع إلى سبيـــل ربك بالحكمة والموعظة الحســـنة ، فصليـــت الظهـــر وجلســـت وحضرنى خلق كثير فارتج على فرأيت سيدى علـــى بـــن أبـــى طـــالب -كرم الله وجهه- قائماً بإزائى فى المجلس فقال لى : يا بنى لم لا تـــتكلم ؟ قلـــت يـــــا أبتـــــاه قـــــد ارتـــــج علـــــى فقـــــال : افتـــــح فاك ، ففتحته فتفـــل فيه ستا ، فقـــلت له لم لا تكملهـــا سبعا ؟ قـــال : تأدبا مع رســـول الله -صلى الله عليه وسلم- وهكذا أكـــــرم شـــيخنا بـــالعلم اللدنى فبلـــغ من الفصاحة والتأثير مبلغاً باهراً ، لقـــد حبـــاه الله بهذه المرتبة بعدما تلقى العلوم الإسلامية والعربية بنهم ، وقام بتدريســـها باهتمام كبير ، الأمر الذى لا يترك مجالاً للطعن فى عربيته ، إلا أن بعـــض المعاصرين لسيدى الشيخ أحمد رضا خان حاولوا أن يبحثوا عـــن مواطـــن الضعف في الخمرية حتى يتسنى لهم نفى نسبتها إلى سيدنـــا الشيخ عبـــد القـــادر الجيلانى ، ومن هنا انبرى الشيخ أحمد رضا خـــان للدفاع عـــن الخمرية فدافع عنها دفاعاً مجيداً ومصحـــوباً بالأدلة العقليـــة والنقلية فـــى عشر نكات حيث إنه بين أن كثيرا من فطـــاحل الشـــعراء ، والأئمـــة ، والعلماء لحنوا فى بعض الأحيان ، وهذا منهم لا يقلل من قيمتهم الأدبيـــة والعلمية شيئاً،فقد تركزت همم الكثير منهم على المعانى دون الألفـــاظ إذ أن المعانى فى رأيهم كالروح والألفاظ بمثابة الجسد ، فالاهتمام بالروح أولى

Marfat.com

من التركيز على الجسد .

إن هذه الرسالة إن دلت على شيء فإنما تدل على غـــيرة المصنـــف رحمه الله على الحق . كما تدل على عمق الصلة وشدة المحبة بينـــــه وبـــين سيدى الشيخ عبد القادر الجيلانى ، ويتبين كذلك من عـــــرض المصنـــف للنكات العشر رجاحة عقله وحذاقة رأيه ، جزاه الله عن المحبين للشيخ عبد القادر الجيلانى خير الجزاء على ما قدم للعلم ، فإن الزمزمة القمرية شـــفاء للعليل وإرواء للغليل ، ونور يجلى لنا الحق ويصرف عنا كل دخيل .

وفى نهاية المطاف أسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يجعل هذا العمـــل الطيب المبارك من أخى فى الله الشيخ ممتاز أحمد الســـديدى فـــى مـــيزان حسناته خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يجعله الله تعالى من مفـــاتيح الخـــير ، والنور ، والهداية ، ويجعله قرة عين لسيدنا رسول الله -صلـــى الله عليـــه وسلم- ولمولانا الشيخ عبد القادر الجيلانى ، فهو بالإجابة جدير وعلى كل شيء قدير .

كتبه

خويدم الطريقة القادرية العليا فى بلاد الشام سوريا دمشق

محمد مُطَرَهْ جِىْ القادرى الحسينى

خريج كلية أصول الدين (قسم الحديث)

من جامعة الأزهر الشريف

Marfat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المصنف

الحمد لله المحيى القادر المتعال ، الـــذى ســقى ســيدنا كأســات الوصال[1]، وتوج ملكنا بتيجان الكمال ، والصلاة والسلام علـــى نبينـــا المصطفى عبد القادر[2] العظيم النوال ، الغوث الغيث الواهب الآمـــال ، وآله وصحبه خير أصحاب وآل ، وابنه الجليل الجمال الجميل الجـــلال[3] الذى جَعَلَ قدمَه بأمر القديم على أعناق الرجال[4] ، وأشـــهد أن لا إلـــه إلا الله شهادة تُحَصِّل الآمال وتصلح المآل ، وأن محمدا عبده ورسوله سيد

---

(١) إشارة إلى لامية الشيخ عبد القادر الجيلانى والتى مطلعها :

سقانى الحب كأسات الوصال فقلت لخمرتى نحوى تعالى

ومن الجدير بالذكر أن هذه القصيدة هى موضوع حديث العلامة المصنف – رحمه الله تعالى– ، وقصد رحمه الله تعالى بكلمة «سيدنا» الشيخ عبد القادر الجيلانى قدس سره .

(٢) أتى المصنف الفاضل بهذا المركب الإضافى وصفا لسيدنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من باب براعة الاستهلال لأنه سيتحدث فى مصنفه عن مولانا الشيخ عبد القادر وهذا الأمر إن دل على شىء فإنما يدل على تمكنه من ناصيـــة اللغـــة العربية وبراعته فى النثر العربى .

(٣) هنا يشير المصنف –رحمه الله تعالى– إلى الشيخ عبد القادر الجيلانى إذ أنه من عترة سيدنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم .

(٤) إشارة إلى مقولة أدلى بها الشيخ عبد القادر الجيلانى حين أكرمه الله بالسمو والعلو فأجرى الله على لسانه : «قدمى هذه على رقبة كل ولى لله» .

Marfat.com

السادات ومولى الموال ، صلى الله تعالى وسلم عليه وعليهم بتواتر وتوال ، إلى أبد الآباد من أزل الآزال ، وعلينا معهم يا مجيب السؤال ، آمين[1] .

أما بعد فقد وَصَلَتْ -فى منتصف شهر ذى الحجة سنة ١٣٠٦ هجرية على صاحبها الصلاة والتحية - إلى هذا العبد الفقير عبد المصطفى[2] أحمد رضا المحمدى السنّى الحنفى القادرى البركاتى البريلوى -أغرقه الله وكل من يليه فى بحار ولاء وليه ووواليه- والرسالة التى بعثها مولانا محمد إبراهيم القادرى البركاتى المدراسى الحيدر آبادى -سلمه القادر بتوالى الآبادى- والتى جاء فيها بما يلى :

بسم الله خير الأسماء

فضيلة الشيخ مدظله . تسليمات بكل احترام .

إن مولانا محمد وكيل أحمد الإسكندر بورى يتقدم إليكم بالتسليمات ، والذى فى هذه الأيام منكب على شرح لامية الشيخ عبد القادر الجيلانى ، وكلفنى بأن أفيدكم بهذا الأمر طمعا فى رأيكم فى هذا

---

(١) هذه الخطبة الوجيزة بما فيها من الحمد فالصلاة والسلام على خير الأنام ثم شهادة التوحيد والرسالة مما كتبه المؤلف -رحمه الله تعالى- باللغة العربية التى تعلّمها وتعمّق فيها لأنها لغة الدين الحنيف .

(٢) هذا لقب اختاره المصنف -رحمه الله تعالى- لنفسه نظراً لحبه الشديد بالحبيب المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم مع الأخذ فى الاعتبار أن العبودية ليست إلا لله الواحد القهار ، والمراد من كلمة العبد هنا الخادم والمملوك ، وكان المصنف مقتديا بسيدنا زيد بن حارثة الذى فضل أن يكون خادما ومملوكا لسيدنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بدلاً من أن يعيش حراً مع أهله وعشيرته .

Marfat.com

الصدد ، إنه يرى أنكم مكرّمون بعلو القدر وسمو المكانة وأننا لا نستغنى عنكم فى شرح هذه القصيدة حتى نستمد من نفحاتها وبركاتها ، وهو يقول : إن عائلته ملتزمة بقراءة هذه القصيدة ، ولما اشتبه أمرها على بعض الناس أصبح من الواجب علينا أن نبدد شكّهم . اهـ

أقول : إن مولانا محمد إبراهيم القادرى استشارنى مصداقا لقول الله عز وجل ﴿وشاورهم فى الأمر﴾[1] وإلا فأين أمر الصلاح من فاقده وانظر فى التفاوت بين الاثنين ، وكان هذا العبد الفقير مشغولا فى ترتيب مجموعة الفتاوى التى أصدرتها ، كما كنت ساعيا فى تبييض وترتيب رسائل والدى ، بالإضافة إلى تأليف رسائل جديدة منها : ((صفائح اللجين فى كون التصافح بكفى اليدين)) وفى مثل هذه الظروف أردت أن أعرب عن رأيى بإيجاز وذلك فى ٢٥ من شهر ذى الحجة عام ١٣٠٦هـ يوم الجمعة ، ولكننى ما إن جلست لهذا العمل إلا فاضت قريحتى ووجدت المادة العلمية للرسالة جاهزة فأسميت هذه الرسالة المترقبة ((بالزمزمة القمرية فى الذبّ عن الخمرية)) .

ورجائى أن تحظى هذه المحاولة بالقبول من الحضرة القادرية ، فإن

---

(١) سورة آل عمران ١٥٩/٣ .

Marfat.com

الأمر غير عسير على الكرام[1] فإذا استحسن مولانا محمد وكيل أحمد كتابتى فليجعلها ملحقا لشرح الخمرية الذى يقوم به وإلا فأنا أعرف نفسى وبضاعتى ، وإننى أقول بكل صراحة وسعيد بكل ما أقول ، إننى متبع العشق ومرتاح فى الدارين[2] .

هذا والحمد لله المولى المقتدر والصلاة والسلام على عبد القادر [ويعنى به سيدنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم] وآله وصحبه الكرام الأطاهر ، آمين ،وها أنا أقول مجيبا للفاضل المولوى وكيل أحمد السكندر فورى –نورنا الله تعالى وإياه بالنور المعنوى والصورى ، وجعلنا وإخواننا جميعا من الذين لهم من الرب الرحيم حسن وعد مضى ، ومن النبى الكريم ذى الفضل العظيم أحمدُ رضا ، فكان كفيلهم الأحد والوكيل أحمد ، عليه وعلى آله الصلاة والسلام إلى منتهى العدد ونهاية الأبد .

---

(١) هذه ترجمة لشطرة فارسية ذكرها المصنف وهى كالآتى :

برکر يمان كارها دشوار نيست .

(٢) هذه ترجمة حرة لبيت فارسى نصه كالآتى :

فاش ميكويم وازكفته خود دل شادم بنده عشقم وازهر دوجهان آزادم

Marfat.com

سند القصيدة الخمرية

إن نسبة القصيدة اللامية الخمرية الغوثيـــة المباركـــة إلى مؤســـس الطريقة القادرية -أعظم الله تعالى شانها وأعلى مكانها- بلغت من الشهرة مبلغا لا بأس به ، والمشايخ اتخذوها وردا ، وأجازوا بقراءتها ، والألوف من الخواص والعامة يرون صحة نسبة الخمرية إلى الشيخ عبد القادر الجيلانى .

لقد أقدم مولانا محمد فاضل الكلانورى -رحمه الله تعالى المعـــاصر للعلامة سيدى أحمد الحموى صاحب غمز العيون والبصائر شرح الأشـــباه والنظائر- على شرح هذه الخمرية باسم الرموز الخمريـــة ، وأقر بنســـبة هذه القصيدة إلى شيخنا الجيلانى .

ولنستمع إلى سيدنا أبى المعالى محمد المسلّمى الذى يعده مولانا عبد الحق المحدث الدهلوى من أبناء وعلماء الطريقة القادرية فإنه فـــى تأليفـــه ((التحفة القادرية)) يقـــول تحت عنوان : الباب الحـــادى عشر : فيما أخبر به الشيخ عبد القادر الجيلانى عن نفسه ، يقول الشـــيخ شـــهاب الديـــن السهروردى رضى الله تعالى عنه أن الشيخ عبد القادر الجيلانى قـــال فـــى مدرسته مراراً وتكراراً : كل ولى على قدم نبى ، وأنا على قـــدم جـــدى صلى الله تعالى عليه وسلم ما رفع صلى الله تعالى عليه وســـلم قدمـــا إلا وضعت قدمى فى الموضع الذى رفع قدمه منه ، إلا أن يكون قدما من أقدام النبوة ، فإنه لا سبيل أن يناله غير نبى ، وقـــد تناول الشيخ عبد القـــادر هذا المعنى فيما نظمه أيضاً ، إنه القائل :

Marfat.com

وكل ولى له قـــــدم وإنـــى على قدم النبى بدر الكمال[1]

وإننا نلحظ هذا فى كتب المشايخ ، وفى مثل هذا الأمر بـــل فـــى الأهم والأجل منه يكتفى أهل العلم بهذا القدر من الدليل ولا يرون حاجة إلى اتصال السند فقد ذهب إلى هذا أبو إسحاق الاسفرائينى ، ثم الإمـــام الأجل جلال الدين السيوطى ، ثم سيدى العـــلامة أحمد الحموى الـــــذى ينقل فى كتابه ((غمز العيون)) فى شأن كتب الفقه أنه : لا يشترط اتصـــال السند إلى مصنفيها[2] .

وقد صرح الإمام المحقق على الإطلاق كمال الدين محمد بن الهمام فى فتح القدير ثم العلامـــة زين بن نجيم المصرى فى الأشباه والنظـــــائر : ((أنه لا حاجة للسند فى عصرنا هذا للنقل عن مجتهد ما إذ يكفى الأخذ من أى كتاب معروف)) .

ومن كلامه نستشف أن تداول الأيدى شـــــرط ليكـــون الكتـــاب معروفاً[3] ، ولكننا نرى خاتم المحققين سيدنا محمد بن عابدين الشامى أنـــــه ينتقد هذا الشرط ويكتفى بتعدد نسخ الكتاب قائلا : ((وهو حسن وجيـــــه

---

(١) تحفة قادرية (التحفة القادرية) للشيخ أبو المعالى محمد المســـلمى ص٧٩ (النســـخة الخطية) .

(٢) الأشباه والـــنظائر (الفن الثالث : أحكام الكتابة) للعلامة زين بن نجيم المصرى (ط: إدارة القرآن : كراتشى) ج٢ ص١٩٨ .

(٣) المرجع السابق ، ج٢ ص١٩٨ .

Marfat.com

يتعين المراجعة إليه))[1] وعندما ننظر فى أمر القصيدة الخمريـــة نجـــد لهـــا شهرة ، وتداول الأيدى ، أما تعدد النسخ فخارج عن العد[2]

وقد حدّث سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله تعالى عليـــه وســـلم ببعض الأمور إلى أمير المؤمنين سيدنا عمر -رضى الله تعالى عنـــه- قيـــل لحوقه بالرفيق الأعلى ، ورد هذا الحديث فى إحياء علـــوم الديـــن لحجـــة الإسلام الإمام محمد الغزالى ، والمدخل للإمام ابن الحاج المكى ، كمـــا ورد جزء منه فى الشفا بتعريف حقوق المصطفى للإمام العـــلام أبـــى الفضـــل عياض ، وقال الإمـــام جلال الدين السيوطى معلقا على هذا الحديـــث :

((لم أجده فى شىء من كتب الأثر لكن صاحـــب اقتباس الأنـــوار وابـــن الحـــاج فى مدخله ذكراه فى ضمن حـــديث طويل وكفى بذلك ســـندا لمثله ، فإنه ليس مما يتعلق بالأحكام))[3] .

وموجز القول : إن فى مثل هذا الأمر الذى لا يتعلـــق بالأحكـــام يكفى هذا القدر من الحجة ، ولا حاجة إلى الأسانيد الصحيحة المتصلـــة أو التواتر ، إلا إذا كان هناك كلام يخالف الشريعة بصراحة -والعياذ بـــالله- فلا تجوز نسبته إلى أى مسلم دون دليل ينص على صحتها ، فضـــلاً عـــن

---

(١) حاشية لابن عابدين (ط : دار إحياء التراث العربى ،بيروت) ج٤ ص٣٠٦ .

(٢) إن التزام أسرة الشيخ بإجازة الخمرية مثل سائر الأوراد والأدعية بمثابة السلـــسلة والسند كسلاسل الطرق التى تتضمـــن الدعـــوات وأسمـــاء المشـــايخ (تعليـــق العلامة المصنف) .

(٣) مناهل الصفا فى تخريج أحاديث الشفاء ، للإمام جلال الدين السيوطى .

Marfat.com

فائدة جليلة(١) :

إننى أرى كفاية فى هذه النكتة لما يدور بـــين الفرقتـــين الضـــالتين المعاصرتين تندفع طائفة إلى تجويز وتأييد أقوال نسبت إلى المشايخ شفويا أو فى كتب غير ثقات مع أن هذه الأقوال تخالف الشرع الحنيف بصراحـــة ، كما تجعل طائفة أخرى هذه الأقوال المنسوبة إلى المشايخ شـــفهياً أو فـــى كتب غير موثقة وسيلة للطعن فى المشايخ ، كل منهما واقعة فى الإفـــراط والتفريط وبعيدة عن الصراط المستقيـــم ، انفصلـــت الأولى مـــن اتبـــاع الشريعة بزعم حب الأولياء ، بينما وقعت الثانية بخدعة اتباع الشريعة فـــى هاوية ((من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب)) مع أن رفض هذه النسبة كان أوجب واجب حين انعدام دليل قطعى ومتواتر . يقول الإمـــام مرشد الأنام حجة الإسلام محمد الغزالى -قدس سره- والعلامة على القارى -عليه رحمة البارى-(٢) ((لا تجوز نسبة مسلم إلى كبيرة من غير تحقيق ، نعم يجـــوز(٣)

---

(١) إن نسبة كلمات تخالف الشرع الحنيف إلى ولى من أولياء الله بدون دليل قطعـــى لا تقبل ، وهذه النسبة ترفض وإن كان سنده من الآحاد (تعليق العلامة المصنف) .

(٢) إحياء علوم الدين (كتاب آفات اللسان ، الآفة الثامنة اللعن) للإمام محمد الغـــزالى (ط : القاهرة) ج٣ ص١٢٥ ، منح الروض الأزهر شرح الفقه الأكبر ، للعلامـــة على القارى (ط : مصطفى البابى الحلبى ، قاهرة) ص٧٢ .

(٣) وقع ها هنا فى نسخة شرح الفقه الأكبر الشائعة فى بلادنا تحريف شديد فنقل فيها لفظ الإحيـــاء هكـــذا ، بـــل لا يجـــوز أن يقـــال : إن ابـــن ملجـــم قتـــل=

Marfat.com

أن يقال : قتل ابن ملجم عليا -رضى الله تعالى عنه- وقتل أبو لؤلؤة عمر -رضى الله تعالى عنه- فإن ذلك ثبت متواتراً ، فلا يجوز أن يرمى مسلم بفسق وكفر من غير تحقيق)) .

هذه النكتة جديرة بالحفظ فإنها تنقذ من المهلكات الكثيرة إن شاء الله الحفيظ تعالى .

أحكام مراعاة العربية وتركها وتعلمها :

ننتقل الآن إلى ما كان من الطعن فى عربية الخمرية ، نقول وبالله التوفيق وبه الاعتصام ، تجدر بعض النكات بالاهتمام ، بعضها أملح من بعض فى المقام .

= عليا ، ولا أبو لؤلؤ قتل عمر ، فإن ذلك لم يثبت متواتراً اهـ . وهو باطل صريح كما لا يخفى ، والصواب ما نقلت فليتنبه (تعليق المصنف) .

Marfat.com

النكتة الأولى

فى الاحتفاء بقواعد اللغة العربية وإهمالها

إن الحق -عز وجل- أعطى الإنسان لسانا ، ووهب للسان قدرة البيان حتى يعبر الإنسان عن مكنون خاطره ، وهذا هو المقصود الأصلى والباقى كله من الزوائد ﴿خلق الإنسان علمه البيان﴾[1] وإنما البيان هو الإظهار ، إذ به يتبين المرام ويبين أى : يمتاز عن غيره ، أو يبين أى : ينفرد عن ضمير المتكلم إلى سمع السامع ، بأن ظهر وامتاز وانفرد ، وأبان : أظهر وميز وأفرد .

وإن العربية كسائر الفنون شعبتان : العلم والعمل ، أما العلم فمن الواجبات الكفائية ، إذ به القدرة على فهم الكتاب والسنة ، ولابد للأئمة المستنبطين والهداة والدعاة إلى طريق الدين من البراعة التامة فى العربية ، فإن أمر التكلم فى النصوص لا يتم إلا بهذا الخصوص ، وأما العمل فيعنى إصدار الكلام حسب القواعد العربية ، وإن ترك العمل بالعربية ينطوى على قسمين :

أولهما إخلال بواجب البيان أى الإتيان بما يفسد الكلام ويبعده عن المرام ، كجعل الفاعل منصوبا والمفعول مرفوعا فى محل الالتباس كما يقول القائل : ضرب زيدا عَمْرو بدلا من قوله : ضرب زيد عَمْراً ، وإنما قيدنا بمحل الالتباس إذ حيث لا لبس لم يكن إخلالٌ بواجب البيان ، وإنما يكون من القسم الثانى كقولك شرب الماء زيداً حيث أحاط السامع

---

(١) سورة الرحمن ٥٥/ ٣،٤ .

Marfat.com

بسياق الكلام[1] ، بل قد لا يكون من الآتى أيضاً حيث بنى على نكتة بديعية كما هو المذهب الراجح للبديعيين فى القلب ومنه قوله : ((كما طينت بالفدن السباعا)) .

ومن هنا فالقسم الأول بلا أدنى شك مذموم وغير محبب ، ومن يتعود به يلام لإتيانه بالعيب ، أما القسم الثانى حيث لا يتغير المراد ولا يفسد الكلام فلا يعتبر إخلالا بمقاييس البيان وإن كان إخلالا بواجب العربية ، فإن مقصود البيان أو بيان المقصود حاصل بالرغم من فقد الاتباع لقواعد اللغة العربية ، مثال ذلك أن يأتى أحد بالضاد مكسوراً ، أو بالراء مضموما ، أو بالباء ساكناً حين نطقه بكلمة (ضرب) هذا وقد ذهب علماؤنا إلى أن إتيان الفتحة على الباء بدلاً من الضمة فى كلمة (نعبد) لا يبطل الصلاة ، إلا أن من قرأ الفتحة على كلمة ((الضالين)) فإن صلاته تبطل وذلك لتغير المعنى على ما ذكر العلامة الشرنبلالى فى ((تيسير المقاصد شرح نظم الفرايد)) حيث قال : المصلى إذا لحن فى قراءته لحنا يغير المعنى كفتح لام الضالين لا تجوز صلاته ، ثم قال : إذا لحن ولم يغير المعنى كفتح باء (نعبد) أو كسرها لا تفسد الخ .

قلت : إن فى الأولى نظر لمن تأمل ونظر ، والاعتياد بهذا النوع من اللحن بالرغم من علم الناطق ومقدرته لا ينافى الفضل والكمال ، وترك

---

(١) قيد به لأنه لولاه لاحتمل الحمل على (قتل شرب الماء زيداً) ، فيكون من باب المشاكلة أى كل يوم كان زيد يشرب الماء واليوم شرب الماء زيداً . حفظه ربه (تعليق المصنف) .

Marfat.com

العمل لا يدل على عدم العلم ، وعلى سبيل المثال نقول : إن إماما فى فن السباحة إذا لم يسبح طوال حياته حتى عند الضرورة بل استخدم القوارب فإن صنيعه هذا لا ينافى علمه وقدرته .

ثم إن عرب الحرمين الطيبين -زادهما الله زينا بعد زين- والبلاد العربية الأخرى منذ أزمان متطاولة يأتون فى حواراتهم اليومية ببعض عبارات لا توافق قواعد اللغة العربية وهذه الظاهرة تشمل العامة والخواص حتى العلماء الكبار والفصحاء الأجلاء ، ومع ذلك لا يعابون بالجهل أو العجز ، ولا يطعن فى علمهم ولا فى فصاحتهم .

لقد سئل أعلم علماء مكة مفتى الحنفية الجليل سيدى عبد الله سراج المكى : إن بعض العرب يغيرون صوت القاف [بما هو معروف فى اليمن والسعودية والسودان وصعيد مصر] فهل تجوز الصلاة بهذه اللهجة ؟ فرد عليه قائلاً : إن يقدر لا يجوز وإن لم يقدر يجوز . ومن الجدير بالذكر أنه نطق القاف بنفس اللهجة المسؤول عنها . ومن هنا فلا مجال للطعن فى علم سراج الحرم (الشيخ عبد الله سراج المكى) .

ونقدم إليكم نصا صريحا نقله سيدنا محمد بن عابدين الشامى - قدس سره- عن العلامة المحقق عمر بن نجيم المصرى -رحمه الله تعالى- وهو كالآتى : لا اعتبار للإعراب عند عامة المشايخ وهو الأصح ، لأن العوام لا يميزون بين وجوهه والخواص لا يلتزمونه فى مخاطباتهم ، بل تلك صناعتهم والعرف لغتهم ، ولذا ترى أهل العلم فى مجارى كلامهم لا يلتزمونه[1] .

---

(١) رد المحتار شرح در المختار (كتاب الطلاق ، باب الكنايات) للعلامة محمد بن عابدين الشامى ، ج٢ ص٤٦٥ .

Marfat.com

لقد توفى هذا العلامة المحقق إلى رحمة ربه فى العام الخـــامس بعـــد الألف للهجرة الشريفة ، إنه لم يكن وحيداً فى رأيه هذا بل سبقه الإمـــام المحقق على الإطلاق كمال الدين محمد بن الهمام -قدس ســـره- برأيـــه التالى : ((هذا الوجه يعم العوام والخواص ، لأن الخاصة لا تلـــتزم التكلـــم العرفى على صحة الإعراب ، بل تلك صناعتهم ، والعرف لغتهم ، ولـــذا ترى أهل العلم فى مجارى كلامهم لا يقيمون))(١)

إنه توفى إلى رحمة ربه فى الثامن من شهر رمضان عام واحد وستين بعد الثمانمائة للهجرة النبوية ، ومن هنا عرفنا أن كبار العلماء منذ خمسمائة سنة تعودوا بعدم مراعاتهم للعربية فى مخاطباتهم وحواراتهم اليومية ، وهل هذا ينقص من شأنهم شيئاً ؟ والعياذ بالله . والله الهادى ، وكنا نقصد مـــن وراء هـــذا الحديث كله أن نكشف ستارا عن أن مخالفة قوالـــب اللغـــة العربية [فى بعض الأحيان] مع علمها والتمكن منها لا تستدعى الطعـــن ، لذا نرى أن التركيز على الألفاظ ليس من دأب أهل العلم .

---

(١) فتح القدير ، (كتاب الطلاق ، فصل فى الطلاق قبل الدخول) ، للإمـــام كمـــال الدين محمد بن الهمام (ط: مكتبة نورية رضوية) ج٣ ص٣٩٩ .

Marfat.com

النكتة الثانية

فى بيان عدم الاهتمام بقواعد الإعراب من طرف بعض الأئمة والعلماء الكبار وثلاثين مثالاً لما أشرنا إليه

يا هذا أرى أن العلماء لا يبالون بالأمور الزوائد لشدة التفاتهم إلى أمر أهم وأعظم فإن اللفظ قالب والمعنى روح عندهم ، والذى يتوجه إلى الروح لا يبالغ فى الاهتمام بالقالب ، ولما كان تركيزهم على المعنى أكثر كانت عنايتهم باللفظ ضئيلة ، فإن المقصود يتمثل فى التعبير عما بداخلهم ، لذا يجد المطلع على كتب الحديث والفقه والأصول وغيرها من العلوم الكثير من المخالفات لقواعد اللغة العربية ينبه عليها الشراح وكتاب الحواشى بقصد تعليم الضعاف فى اللغة دون تعمد إلى تخطئة السابقين ، وهذا الفقير إلى ربه القدير يستطيع إنجاز كتاب مبسوط فى هذا الأمر بالتتبع والتفحص ، ربما يذهب الجهال إلى أن هذا طعن فى الأسلاف والعياذ بالله ، مع أن هذا الصنيع لا ينقص من كرامتهم ومنزلتهم شيئاً ، إلا أن الإشارة إلى مثل هذا الأمر نظرا للضرورة مستحسنة وتدل على قصر النظر البشرى ، وإن الظن بالتهمة على السلف الكبار فى مثل ما نحن بصدده ليس غير إساءة الظن ، وإن ذكر بعضها جدير وأحسن ، فأقول وأعتذر إلى الكرام الكُمَّلَة مما دعتنى إليه ضرورة الجهلة .

١- يقول الإمام الهمام مسلم بن حجاج النيسابورى فى مقدمة صحيحه : ((صحبا أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من البدريين هلم جرا)) (١) وهنا لم يكن المحل للإتيان بكلمة ((هلم جرا)) يقول

---

(١) صحيح مسلم (باب صحة الاحتجاج بالحديث المعنعن) للإمام مسلم بن حجاج (ط : قديمى كتب خانه ، كراتشى ، دون سنة الطبع) ج١ ص٢٣ والعبارة=

Marfat.com

الإمام العلامة القاضى عياض معلقا على هذه الكلمة : ((ليس هذا موضع استعمال هلم جرا ، لأنها إنما تستعمل فيما اتصل إلى زمان المتكلم بها))(١) وقرره بالنقل فى المنهاج(٢)

٢- ووردت فى مقدمة صحيح مسلم العبارة التالية : ((فإن اسم الستر والصدق وتعاطى العلم يشملهم(٣) وهكذا وردت كلمة الستر بكسر السين إلا أن الصحيح بالفتح ، يقول الإمام أبو زكريا يحيى النووى شارحا هذه الكلمة : ((الستر هو بفتح السين مصدر سترت الشيء أستره سترا . ويوجد فى أكثر الروايات والأصول مضبوطاً بكسر السين(٤) ولو جردنا الصحيح من غيره بالنظر فى بعض الروايات والأصول وذلك على سبيل الافتراض لتبين لحن هؤلاء الرواة الجمهور ، والمهم أن المقصود حاصل ، وأما تأويل الإمام النووى بقوله : ((يمكن تصحيح هذا على أن الستر يكون بمعنى المستور كالذبح بمعنى المذبوح ونظائره(٥))) فأقول : لا يلائمه معطوفاً كما لا يخفى وإليه أشار الإمام بقوله : (يمكن)

=فى صحيح مسلم كالآتى : وهذا أبو عثمان النهدى وأبو رافع الصائغ وهما ممن أدرك الجاهلية وصحبا أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هلم جرًا.

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم شرح صحيح مسلم للقاضى عياض (ط : دار الوفاء بيروت) ج١ ص١٨٢ .

(٢) المنهاج لشرح صحيح مسلم بن الحجاج ، للإمام النووى (ط : قديمى كتب خانه، كراتشى . دون سنة الطبع) ج١ ص٢٣ .

(٣) المرجع السابق ، ج١ ص٤ .

(٤) المرجع السابق ، ج١ ص٤ .

(٥) المرجع السابق ، ج١ ص٤ .

Marfat.com

الدال على التمريض .

٣- وورد فى صحيح مسلم ((أوقفت الخبر))[١] وجاء التعليق عليه فى المنهاج كالآتى : كذا هو فى الأصول ((أوقفت)) ، وهى لغة قليلة ، والفصيح المشهور ((وقفت)) بغير ألف[٢] .

٤- وقد وردت رواية فى الصحيح البخارى ، وسنن أبى داود ، والجامع للترمذى ، والمجتبى للنسائى ، وسنن ابن ماجه ، وسنن الدارمى عن طريق منصور عن الأسود ، عن أم المؤمنين عائشة -رضى الله تعالى عنها- ((كان يأمرنى فأتزر))[٣] بإدغام الهمزة وتشديد التاء وعلماء العربية لا يجيزونه ، لقد ذهب الزمخشرى إلى أن : ((قول من قال فأتزر خطأ))[٤]

---

(١) صحيح الإمام مسلم (باب صحة الاحتجاج بالحديث المعنعن) ج١ ص٢٢ .

(٢) المنهاج لشرح صحيح مسلم بن الحجاج ، ج١ ص٢٢ .

(٣) صحيح الإمام البخارى (كتاب الحيض باب مباشرة الحائض) (ط : قديمى كتب خانه ، كراتشى ، دون سنة الطبع) ج١ ص٤٤

سنن أبى داود (كتاب الطهارة ، باب فى الرجل يصيب منها الخ) (ط : آفتاب عالم يريس ، لاهور) ج١ ص٣٥ .

جامع الترمذى (أبواب الطهارة ، باب ما جاء فى مباشرة الحائض) (ط : أمين كمبنى ، دهلى) ج١ ص١٩ .

سنن ابن ماجه (أبواب الطهارة ، باب ما جاء للرجل من امرأته الخ) (ط : ايج ايم سعيد كمبنى ، كراتشى) ٤٦ .

سنن النسائى (كتاب بدء الحيض والاستحاضة) ج١ ص٦٧ .

سنن الدارمى (باب مباشرة الحائض (ط : نشر السنة ، ملتان) ج١ ص١٩٤ .

(٤) المفصل فى النحو (ومن أصناف المشترك الاعتدال) للزمخشرى ، ص٣٦١ .

Marfat.com

ويرى ابن هشام أن : ((عوام المحدثين يحرفونه فيقرؤنه بألف وتاء مشـــددة ولا وجه له لأنه من الإزار ، ففاؤه همزة ساكنة بعد همزة المضارع المفتوحة ويقول العـــلامة الطيبى : صوابه بهمزتين ، ولعل الإدغام من الـــرواة[١] وفى مجمع بحار الأنوار : ((هو خطأ لأن الهمزة لا تـــدغم فـــى التـــاء))[٢] وفى القاموس : ((لا تقل اتزر ، وقد جاء فى بعض الأحاديث ، ولعله مـــن تحريف الرواة))[٣] وعندما وردت هذه الكلمة فى منية المصلى كـــالآتى : ((إن الجنب إذا اتزر فى الحمام الخ))[٤] علق عليها العلامة بن أمير الحـــاج بقوله : الذى تقتضيه القواعد أن يقال : ائتزر بهمزة ساكنة بعـــد همـــزة الوصل ، قالوا : ولا يجوز إبدال اليـــاء (أى الحاصلـــة بقلـــب الهمـــزة) تاء الخ[٥] .

لا يجوز إدخال حرف الجر على هلم :

٥- إن من المعلوم اطلاع الإمام العلامة القاضى عياض اليحصبـــى على الأدب العربى وفنون الفصاحة ولكنه يقول : ((من لدن الصحابـــة -

---

(١) شرح الطيبى لمشكاة المصابيح (كتاب الطهارة باب الحيض) (ط : إدارة القـــرآن ، كراتشى) ج٢ ص١٣٧ .

(٢) مجمع بحار الأنوار (باب الهمزة مع الزاء) (ط : مكتبة دار الإيمان ، بالمدينة المنـــورة) ج١ ص٧٢ .

(٣) القاموس المحيط (باب الراء ، فصل الهمزة) للفيروزآبادى (ط : مكتبـــة مصطفـــى الحلبى البابى بمصر) ج١ ص٣٧٧ .

(٤) منية المصلى (ط : مكتبة قادرية ، لاهور) ص١٤٩ .

(٥) حلية المحلى شرح منية المصلى .

Marfat.com

رضوان الله تعالى عليهم- إلى هلم جرا))[1] مع أن كلمة ((هلم)) لا تقبل إدخال حرف الجر عليها ، الأمر الذى جعل الفاضل الأديب العلامة أحمد شهاب خفاجى يعلق على هذا التعبير بقوله : فى كلامه شىء لم ينبهوا عليه ، وهى إدخال إلى على هلم جرا مقابلة لمن الابتدائية الداخلة على لدن ، وهو غير مسموح بل غير صحيح ، لأنها فعل فى الحال أو الأصل على اللغتين ، فكأنه حذف مجرورها وأصله (إلى وقتنا هذا ، وهلم جرا) وهو صحيح أيضا غير جار على وفق كلامهم[2] .

ووردت فيه عبارة أخرى كذلك : ((نحن وأنتم ننتفى من القول بالمآل الذى ألزمتموه لنا))[3] بالأخذ فى الاعتبار أن الانتفاء صفة للمعانى لا للرجال .

لا تستعمل كافة إلا حالا لذوى العقول ولا تضاف ولا تعرف بأل :

٦- وردت فى نسيم الرياض العبارة الآتية : ((إلى ما روته الكافة عن الكافة))[4] ويقول كذلك الزمخشرى الأديب فى خطبة كتابه المفصل :

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى : للقاضى عياض (ط : شركة صحافية) ج٢ ص٢٠٧ .

(٢) نسيم الرياض ، للإمام العلامة أحمد شهاب الدين خفاجى (ط : دار الفكر بيروت ، دون سنة الطبع) ج٤ ص٣٣٦ .

(٣) المرجع السابق ، ج٤ ص٥٢٩ .

(٤) المرجع السابق ، ج١ ص٤٢٢ .

Marfat.com

((محيط بكافة الأبواب))[1] إن الكلمة هذه وردت كذلك فـــى الكشـــاف للزمخشرى وخطبة الشاعر الشهير ابن نباته السعدى ، مع أن علماء اللغـــة العربية صرحوا أنه لا يجوز تعريف هذه الكلمة ولا تصح إضافتها كمـــا لا يصح إتيانها إلا حالا ، يقول إمام النحاة سيبويه فى هـــذا الشـــأن : ((إن كافة)) يلزم التنكير والنصب على الحالية ، وقاطبة ، وطرا ، ونحوه .

وفى نسيم الرياض عن كلمة كافة : ((وزاد غيره أنها لا تثنـــى ولا تجمع ولا تطلق على غير العقلاء ولم يرد ذلك فـــى كـــلام الله ولا كـــلام العرب ، ووهم من استعملها على خلاف ذلك))[2] .

ويقول الإمام النووى معلقاً على حديث سيدنا علـــى -كـــرم الله وجهه- : ((ما خصنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بشىء لم يعم به الناس كافة))[3] هكذا تستعمل كافة حالا ، وأما ما يقع فى كثير من كتب المصنفين من استعـــمالها مضافة ، وبالتعريف كقولهم هـــذا قـــول كافـــة العلماء ، ومذهب الكافة فهو خطأ معدود فى لحن العوام وتحريفهم .

لا يدخل أل على ((مرة)) :

٧- يقول الإمام البيهقى عن أثر ابن عباس : فى كـــل أرض أدم : ((شاذ بالمرة))[4] وهذه الكلمة تكررت عند غيره من المحدثين بهذه الصورة الخاطئة ، يقول العلامة العدوى : إدخال أل على مرة لغة أعجمية صيرت

---

(١) المفصل ، للزمخشرى ، ص٩ .

(٢) نسيم الرياض ، للخفاجى ، ج١ ص٤٢٢ .

(٣) المنهاج لشرح صحيح مسلم بن الحجاج ، ج٢ ص١٦١ .

(٤) كشف الخفاء ومزيل الإلباس (ط : مؤسسة الرسالة بيروت) ج١ ص١٢٣ .

Marfat.com

إلى العرب(١) .

٨- وقد وردت كلمة عرص بالضاد المعجمة بـــدلا مـــن الصـــاد المهملة ، يقول العلامة مجد الدين الفيروزآبادى فى هذا الصدد : العرص : والمحدثون يلحنون فيعجمون الصاد(٢) .

النسب إلى اثنى عشر باثنى عشرية نسبة باطلة :

٩- وهناك مسائل فقهية يبلغ عددها اثنتى عشرة مسألة كلها تتعلق بأمور عارضة تبطل الصلاة عند الإمام الأعظم أبـــى حنيفـــة النعمـــان ولا تفسدها على رأى الصاحبين ، وهذه المسائل اشتهرت على لسان الفقهـــاء بالمسائل الاثنى عشرية ، مع أن قواعد اللغة العربية لا تجيز هذه النسبة بهذا الشكل . فقد ورد فى البحر الرائق فالنهر الفائق ثم رد المحتار فـــى هـــذا الصدد ما يأتى : اشتهرت هذه النسبة وهى خطأ عند أهل العربيـــة ، لأن العدد المركب العلمى لا ينسب إليه(٣) . ويقول العلامة الطحطاوى عـــن هذه النسبة : هى مشهورة عندهم بهذه النسبة إلا أن هذا الاستعمال غـــير جائز من حيث العربية(٤) .

كلمة الصلاتية غلط والصحيح صلوية :

١٠- إن عامة العلماء يشيرون إلى نوع مـــن أنـــواع الســـجدة

---

(١) حاشية الخُضرى على ابن عقيل .

(٢) القاموس المحيط ، للفيروزآبادى ، ج٢ ص٣١٩ .

(٣) رد المحتار (كتاب الصلاة باب الاستخلاف) للعلامـــة ابـــن عـــابدين الشـــامى ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ .

(٤) حاشية الطحطاوى على مراقى الفلاح (ط : دار المعرفة بيروت) ج١ ص٢٥٨ .

Marfat.com

بالصلاتية ولا يكاد كتاب من كتب الفقه يخلو عن هذه الكلمـــة ، إلا أن الكلمة الصحيحة هى ((الصلوية)) دون ((الصلاتية)) وإلى هذا أشار المحقـق على الإطلاق الإمام كمال الدين محمد بن الهمام والعلامة غزى فى منـح الغفار كما هو رأى غيرهما من العلماء الكبار ، وإليكـم نـص العـالمين الجليلين : ((وهذا لفظ المحقق صواب ، النسبة فيه صلوية برد ألفه واوا ، أو حذف التاء ، وإذا كانـوا حذفوها فى نسبة المذكر إلى المؤنـث كنسـبة الرجل إلى بصرة مثلاً فقالـوا : بصرى لا بصرتى كيلا تجتمع تاءان فـى نسبة المؤنث فيقولون : بصرتية ، فكيف بنسبة المؤنث إلى المؤنث[1] .

استخدام كلمة الشفعوية غلط :

١١- إن أكثر الأئمة المتقدمين يستخدمون كلمة الشفعوية بدلا من الشافعية . يقول الإمام طاهر بن عبد الرشـيد البخـارى : ((الاقتـداء بشفعوى المذهب يجوز إن لم يكن متعصبا))[2] الخ ويقول كذلك أستاذه الإمام والفقيه الأجل قاضى خان فى الفتـاوى القـاضى خانيـة : ((أمـا الاقتداء بشفعوى المذهب قالوا لا بأس به))[3] وهذه الكلمة وردت كذلك فى خزانة المفتين وغيره فى الكثـير من الكتب ، كما وردت فـى أكـثر

---

(١) فتح القدير (كتاب الصلاة باب سجود التلاوة) للإمام محمد كمـال الديـن بـن الهمام ، ج١ ص٤٦٩ .

(٢) فتاوى الخلاصة (كتاب الصلاة ، الفصل الخامس عشر فى الإمامة والاقتداء) للإمام طاهر بن عبد الرشيد البخارى (ط : مكتبة حبيبيـه ، كويتـه ، باكسـتان) ج١ ص١٤٩ .

(٣) الفتاوى للإمام قاضى خان (فصل فيمن يصح الاقتداء به) (ط : نولكشور ، لكنو) ج١ ص٤٣ .

Marfat.com

نسخ الهداية العبارة التالية : ((دلـــت المســألة علــى جــواز الاقتــداء بشفعوية))[1] مع أن النسبة إلى الشافعى ليست غير الشافعى ، نبه عليـــه شراح الهداية حيث قالــوا : وقــع فى بعض نســـخها الشــافعية وهــو الصواب ، لما عرف من وجوب حذف ياء النسبة إذا نسب إلى ما هى فيــه ووضع الياء الثانية مكانها حتى تتحد الصورة قبل النسبة الثانية وبعدهــا ، والتمييز حينئذ من خارج ، فالياء المشــددة فيه ياء النســبة[2] لا أخــر الكلمة ككرسى ، هذا لفظ البحر[3] ومثله فى الفتح وغيره .

كلمة المصطفوية من الغلط العام :

١٢- وردت كلمة المصطفوية فى تصانيف أعاظم العلماء ، يقول إمام الأدباء والمحدثين أبو الفضل جلال الدين السيوطى : ((مــن الحكــم المصطفوية صنوفاً))[4] الخ .

يقول العلامة محمد عبد الباقى الزرقانى فى مستهل خطبته لشــرح

---

(١) الهداية (باب صلاة الوتر) للمرغينــانى (ط : المكتبــة العربيــة ، كراتشــى) ج١ ص١٢٥.

(٢) أقول : الأولى أن يقول : ((ياء هذه النسبة)) ليحترز عن التى كانت قبلها وذلك لأن ما قبلها أيضا قد تكون ياء النسبة ، وإن قلنا على خلاف العرف نظــرا إلى اتحــاد الكلمتين : أنها ياء آخر الكلمة ، بيد أن المعنى واضح (تعليق المصنف) .

(٣) البحر الرائق (باب الوتر والنوافل) لابن نجيم المصرى (ط : شركة ايج ايم سعيد ، كراتشى) ج٢ ص٤٥ .

(٤) الجامع الصغير للإمام جلال الدين السيوطى (ط : دار الكتب العلمية بيروت) ج١ ص٢ (مقدمة) .

Marfat.com

المواهب اللدنية : ((جواهر استخرجتها من قاموس الحكم المصطفوية))[1] مع أن الألف بإجماع أهل العربية تسقط من كلمة المصطفى عند النسبة ولا تتحول إلى الواو ، فقد ورد فى الجاربردى : ((قول العامة مصطفوى غلط والصواب مصطفى)) .

١٣- يقول الإمام الكردرى فى كتاب المناقب ضمن وصايا الإمام -رضى الله تعالى عنه- ((اذدرى ذلك بعلمك))[2] وورد كذلك فى الأشباه والنظائر حيث إن سيدى أحمد الحموى يقول : والصواب أزرى ذلك بعلمك[3] .

١٤- ووردت فى هذه الوصايا العبارة الآتية : ((لا تخرج إلى النظارات)) [4] وذهب صاحب القاموس إلى أن : ((النظارة - بالتخفيف- بمعنى التنزه لحن يستعمله بعض الفقهاء))[5] .

١٥- يقول الإمام الأوحد فى الفقه وأصوله والأدب العربى الإمام الأجل على بن أبى بكر الفرغانى : ((فرائض الصلاة ستة))[6] علق عليه المحقق على الإطلاق الإمام كمال الدين محمد بن الهمام بقوله : ((لا يخلو

---

(١) شرح الزرقانى على المواهب اللدنية (ط : دار المعرفة ، بيروت) ج١ص٢ .

(٢) مناقب الإمام الأعظم ، للكردرى (ط : مكتبة اسلامية ، كويته ، باكستان) ج٢ص٩٥ .

(٣) غمز العيون البصائر مع الأشباه والنظائر ، للحموى ، (ط : إدارة القرآن ، كراتشى) ج٢ ص٣٢٥ .

(٤) المرجع السابق ، ج٢ ص٣٢٨ .

(٥) القاموس المحيط ، للفيروزآبادى ، ج٢ ص١٥٠ .

(٦) الهداية ، للمرغينانى ، ج١ ص٨٢ .

Marfat.com

عن شيء لأنه إن اعتبر آحاد الفرائض فريضة لم تجز التاء فى عـــدده ، وإن اعتبر فرضا لم يكن ذلك جمعه لأن فعائل إنما يطـــرد فى كل رباعى ثالثـــه مدة مؤنث بالتاء كسحابة وصحيفة وحلوبة أو بالمعنى كشـــمال وعجـــوز وسعيد علم امرأة الخ[1])) .

١٦- وفى كتاب الديات من الهداية قول المصنف : ((قالا وزفـــر والحسن يقص من الأولى))[2] علق على هذه العبارة العلامة أكمل الديـــن البابرتى قائلاً : ((هذا التركيب غير جائز ولو قـــال : قـــالا همـــا وزفـــر لكان صواباً[3] .

١٧- وفى كتاب الإجارات من الهداية وردت العبـــارة الآتيـــة : ((يجوز طالت المدة أو قصرت لكونها معلومـــة ولتحقـــق الحاجـــة إليهـــا عسى))[4] علق العلامة بدر الدين محمود على استخـــدام كلمـــة عســـى بقوله : ((كلمة عسى ههنا وقع مجرداً عن الاسم والخـــبر تقديـــره عســـى الاحتياج إلى المدة الطويلة يقع ، وأهل العربية يأبون ذلك))[5] .

١٨- وقد ورد فى جواب أما أن إسقاط الفاء من عادة العرب يجده الناظر فى مواضع لا تحصى وفى هذا يقول الرضى : ((وجب الفـــاء فـــى

---

(١) فتح القدير للإمام كمال الدين محمد ابن الهمام ، ج١ ص٢٣٩ .

(٢) الهداية (فصل فى أصابع اليد) ، للمرغينانى ، ج٤ ص٥٩١ .

(٣) فتح القدير ، للإمام محمد ابن الهمام ،ج١ ص٢٢٧ .

(٤) الهداية (فصل فى كتاب الإجارات) للمرغينانى ، ج٣ ص٢٩١ .

(٥) البناية شرح الهداية ، للعلامة بدر الدين العينى (ط : المكتبة الإمدادية مكة المكرمة) ج٣ ص٦٢٥ .

Marfat.com

جواب أما ... ولا يحذف [أى الفاء] فى جواب أما إلا لضرورة نحو قوله : أما الصدود لا صدود لديكم[1])) .

١٩- يقول العلامة سيدى عبد الرؤف المناوى فى خطبة كتابه : ((جمعت فيه زهاء عشرة آلاف حديث فى عشرة كراريس ، كل كراس ألف حديث))[2] وقال العلامة المحقق زين بن إبراهيم بن نجيم فى كتابه ضوابط وقواعد : ((اختصرت فى هذا الكراس الخ))[3] علق على استخدامه كلمة الكراس العلامة سيدى أحمد المصرى بقوله : ((فيه أنه لا يقال فى الواحد كراس ، وإنما يقال كراسة[4])) .

٢٠- وقال ابن نجيم : ((أما بقضاء القاضى لا))[5] علق عليه العلامة أحمد الطحاوى المصرى بقوله : كان حقه أن تقترن بالفاء ، ومن ثم توهم بعض أرباب الحواشى ، وحمل كلام المصرى على غير ما أراد ، والله المستعان[6] .

٢١- وفى مستهل هذا الكتاب قول المصنف : منها (أى من

---

(١) شرح الكافية ، للشيخ رضى الدين (ط : دار الكتب العلمية ، بيروت) ج٢ ص٣٩١ .

(٢) كنوز الحقائق من حديث خير الخلائق ، للعلامة عبد الرؤف المناوى (دار الكتب العلمية ، بيروت) ج١ ص٥ (مقدمة الكتاب) .

(٣) الأشباه والنظائر ، ج٢ ص٣٢٢ .

(٤) غمز العيون البصائر شرح الأشباه والنظائر ، ج٢ ص٣٢٢ .

(٥) الأشباه والنظائر ، ج٢ ص٩٤ .

(٦) غمز العيون البصائر شرح الأشباه والنظائر ، ج٢ ص٩٤ .

Marfat.com

القواعد) سبعة[1] علق عليه الشارح قائلاً : كان الصواب أن يقول سبعا لأن المعدود مؤنث[2] .

٢٢- يقول أخوه الأصغر وتلميذه الأكبر العلامة عمر :

وفاسد من العقود عشر إجارة وحكم هذا الأجر

أقول : العقد مذكر وقد كان النظم يحتمل العشرة وإبدال قرينه بالأجرة .

٢٣- يقول الأديب الفقيه والمحقق الأديب سيدى علائى محمد الدمشقى فى شرح متن غزى : ((السكوت كالنطق إلا فى مسائل عد منها سبعة وثلاثين الخ))[3] . أقول : حقه سبعا لأن المعدود المسائل .

٢٤- ورد فيه النص التالى : ((سننها ثلاثة وعشرون))[4] الخ ملخصا . أقول : بل ثلاث وعشرون وما اعتذر به العلامة الحلبى ، وأقره الشامى[5] فينثلم بما أفاد فى الغمز تحت قوله : سرد منها سبعة[6] .

---

(١) الأشباه والنظائر ، ج١ ص١٧ (خطبة الكتاب) .

(٢) غمز عيون البصائر شرح الأشباه والنظائر ، ج١ ص١٧ .

(٣) در مختار (كتاب الوقف) (ط : مجتبائى دهلى دون سنة الطبع) ج١ ص٤٠٠ .

(٤) المرجع السابق ، ج١ ص٧٣ .

(٥) قال الحلبى ثم الشامى : أنث لفظ العدد لحذف المعدود الخ (رد المحتار ، ج١ ص٣١٩) (تعليق المصنف) .

(٦) قال فى الغمز (ج١ ص١٧) : كان الصواب أن يقول سبعا لأن المعدود مؤنث على ما هو القاعدة المشهورة لا يقال القاعدة مقيدة بما إذا كان المميز مذكوراً بعد العدد وأما إذا حذف أو قدر فيجوز حينئذ فى اسم العدد إلحاق التاء وحذفها ، لأنا=

Marfat.com

٢٥- ونجد فيه : ((فى الحديث من قرأ الإخـــلاص أحـــد عشـــر مرة))[١] علق عليه المصحح بقوله : صوابه إحدى عشرة مـــــرة كمـــا لا يخفى[٢] أقول : إن المروى فى الحديث صحيـــح ولا يعـــارض القواعـــد النحوية ، رواه الدارقطنى والطبرانى والسلفى ، كلهم عن ســـيدنا علـــى كرم الله تعالى وجهه مرفوعاً . أما المخالفة النحوية فقد نبعت من عدم الدقة فى النقل .

٢٦،٢٧- ورد فى رد المحتار نقلا عن شرح اللباب : ((الإخـــلاص اثنى عشر مرة أو إحدى عشر))[٣] علق عليه المصحح بقولـــه : ((هكـــذا بخطه . وصوابه اثنتى عشرة مرة))[٤] أقول : وكذلك إحدى عشرة .

٢٨- فى المنية : ((ذكر فى المحيط : الأظهر أن لا يعود نجساً))[٥] وعلق عليه صاحب الحلية بقوله : الوجه الظاهر أن يقال نجسة لأن البـــير

=نقول ما ذكر من جواز التاء وعددها إذا كان المميز الأيام وحدها ، وأما إذا كان غير الأيام فالوجه مطابقة القاعدة الأصلية من إثبات التاء فى المذكر وحذفها فـــى المؤنث، وأما إذا كانت الأيام مع الليالى فالمسمـــوع حذف التاء تغليبا الليـــالى ، كذا قرره الإمام السبكى فى رسالته إبراز الحكم قال : وفى كلام ســـيبويه وابـــن مالك ما يدل عليه ، انتهى فليحفظ [تعليق العلامة المصنف] .

(١) در مختار (باب صلاة الجنائز) ج١ ص١٢٦ .

(٢) رد المحتار ، للعلامة محمد بن عابدين الشامى ، ج١ ص٦٠٥ (هامش)

(٣) المرجع السابق ، ج١ ص٦٠٥ .

(٤) المرجع السابق ، ج١ ص٦٠٥ (هامش) .

(٥) منية المصلى (فصل فى النجاسة) ، ص١١٢ .

Marfat.com

مؤنثة سماعية(١) .

٢٩- وفى المنية كذلك : ((والفخذ مُغَطًّى))(٢) علق عليه الشارح المحقق قائلاً : الوجه الظاهر أن يقول المصنف : ((والفخذ مغطـــاة)) فـإن الفخذ مؤنث(٣) .

٣٠- ورد نص فى القنية والأشباه والدرر وغيرها مـــن الكتـب واللفظ لابـــن نجيـم : الخلـوة بـالمحرم مباحـة إلا الأخـت رضاعـا والعهرة الشابة(٤) .

يقول العلامة أحمد الحموى بعد قيامه بالبحث فـى معنـى كلمـة ((الصهر)) : فعلى هذا لا يقال الصهرة على كل حال الخ(٥) قلت : وظنى أنه من المحدثات لا تكاد العرب تعرفه .

هل يستطيع أحد بعد النظر فيما ذكرناه آنفا وفيما يماثله أن يطعـن فى كمال فضل العلماء الكاملين وفضل كمال الأئمة المحدثين ، والفقهاء ، والأصوليين أمثال الإمام مسلـم ، والإمـام البيهقى ، والإمـام قـاضى عياض ، وعامة رواة الصحيح للإمام مسلـم ، وأجلة رجـال الصحـاح الستة ، والإمام قاضى خان ، والإمـام صـدر الشريعـة ، والإمـام الكردرى ، والإمام السيـوطى ، والـعلامة المناوى ، والعلامة الزرقانى ،

---

(١) التعليق المجلى بهامش منية المصلى ، ص١٧٧ .

(٢) منية المصلى ، ص١٧٧ .

(٣) التعليق المجلى بهامش منية المصلى ، ص١٧٧ .

(٤) الأشباه والنظائر ، ج٢ ص١١١ .

(٥) غمز عيون البصائر شرح الأشباه والنظائر ، ج٢ ص١١١ .

Marfat.com

والعلامة على القارى ، وأئمة الهـــدى مصنفـــى الهدايـــة ، والخلاصـــة ، والخزانه ، والمنية ، والبحر ، والنهر ، والدر ، وأجلة الأدباء كالزمخشرى ، والزاهدى ، وابن نباته .

لقد قام الإمام أبو سليمان الخطابى بتغليط استخدامهم كلمة وردت فى الحديث : اللهـــم إنى أعوذ بك من الخبث الخ حيـــث قـــال عامـــة المحدثين : يقولون الخبث بإسكان الباء وهو غلط(١) والصواب الضم(٢) .

وتحدث الإمام أبو زكريا يحيى النووى عن بعض الأسماء كعمرو بن العاص ، وشداد بن الهاد ، وابن أبى الموال حيث قال : أما العاص فأكثر ما يأتى فى كتب الحديث والفقه ونحوها بحذف الياء ، وهى لغـــة والفصيـــح الصحيح العاصى(٣) بإثبات الياء وكذلك شداد بن الهادى ، وابـــن أبـــى الموالى ، فالفصيح الصحيح فى كل ذلك وما أشبهه إثبات الياء ، ولا اغترار بوجوده فى كتب الحديث ، وأكثرها بحذفها(٤) .

---

(١) أقول : ليس بغلط بل هى قاعدة مطردة فى أمثاله مثل كتب ورسل ونكـــر وغيرها ، وبهما قرىء فى السبع المتواترات [تعليق المصنف] .

(٢) مـــعالم السنن لأبى سليمان الخطـــابى ، (ط : المكتبـــة الأثريـــة ، ســـانكله باكستان) ج١ ص١٦ .

(٣) أقول : والصواب عندى أن كليهما صحيح فصيح ، حذف الياء وإثباتهـــا ، وبهما قرىء فى السبع يوم التلاق ، يوم التناد ، يوم يـــدع الـــداع ، بـــل الاكتفاء عن اليـــاء بالكسرة بل عن حروف المد بالحركات باب واسع فـــى لغة العرب ، قال تعالى : يخاف وعيد ، ياعباد فاتقون ، ذلك ما كنـــا نبـــغ ، وعليه فى القنية : جواز الصلاة بقوله : أعُذْ بالله مكان أعوذ ، وتعال جـــدك مكان تعالى [تعليق المصنف] .

(٤) المنهاج لشرح صحيح مسلم بن الحجاج ، ج١ ص١٠ .

Marfat.com

يقول العلامة الزرقانى : العاصى بالياء وحذفها ، والصحيح [هـو] الأول عند أهل العربية ، وهو قول الجمهور كما قال النووى وغيره ، وفى تبصير المتنبه قال النحاس : سمعت الأخفش يقول : سمعت المبرد يقول : هو بالياء ، لا يجوز حذفها ، وقد لهجت العامة بحذفها قال النحاس : هذا مخالف لجميع النحاة الخ(١) .

إن كثيرا من الشراح يوجهون النقد إلى عبارات المصنفين من الناحية العربية كما سبق أن ذكرنا الأمثلة ، ومن هنا نسأل هؤلاء الشـــراح هـــل مآخذهم على عبارات المصنفين تدل على نقصهم وقصر باعهم فى العربية ؟ فإننا نجدهم يستنكرون هذا السؤال معترفين بغزارة علم هـــؤلاء المصنفـــين وكمالهم فى العلوم الإســـلامية والعربية ، ورفعة مكانتهم من بـــين أهـــل العلم وذلك بسبب أن الهمم العـــالية لهؤلاء الأعلام تركزت على المعـــانى ولم تهتم بالزوائد ، وإلا فلا يمكننا أن نعتقد عدم تمكنهـــم مـــن الإتيـــان بالعبارات الصحيحة والعياذ بالله سبحانه وتعالى .

يحدثنا العلامة سعد الدين التفتازانى عن الإمام الأجل صدر الشريعة الثانى عبيد الله بن مسعود قائـــلاً : المصنف(٢) كثيرا مـــا يتســـامح فـــى صلات الأفعال ميلا منه إلى جانب المعنى(٣) .

---

(١) شرح الزرقانى للمواهب اللدنية (ط : دار المعرفة ، بيروت) ج١ ص٢٩ .

(٢) أقول : حروف المعانى تقوم بعـــضها مقام بعـــض كمـــا فـــى الصحـــاح ، والتضمين باب واسع فى كلام العرب [تعليق المصنف] .

(٣) التوضيح والتلويح ، للعلامة سعد الـــدين التفتـــازانى (ط : نورانى كتـــب خانه ، بشاور) ص١٠ .

Marfat.com

يتحدث الإمام على بن أبى بكر عن صاحب الهداية فيقول : إنه لا يذكر الفاء فى جواب أما اعتمادا على ظهور المعنى[1] .

يقول العلامة الطحطاوى : الفقهاء يغتفرون عطف المستثنى المنقطع على المتصل وعكسه ، إذ ليس المقام إلا لإفادة الأحكام[2] وإنه يقول ضمن كتاب الشفعة : ((إن الألفاظ قوالب ما لها عبرة ، إنما العبرة للمدعى)) .

يا هذا ، إذا كان استغناء العلماء عن الزوائد لاشتغالهم بالمعنى فما بال الأولياء الصالحين قدست أسرارهم الذين بلغت ميولهم إلى المعانى إلى القمة ، وفى هذا المعنى يحدثنا العارف بالله المولوى جلال الدين الرومى قدس سره وهو يقول : إن مخ العلم كبير وقشره صغير ، فعندما يكبر مخ العلم يرق قشره ويصبح كالمعدوم ، فإنك ترى اللوز والجوز والفستق يرق قشره عندما يكبر لبه ، وكذلك فإن العاشق يزداد فناؤه كلما كبر الحب فى داخله ، والمحب لله تعالى عندما تتمكن من لبه أوصاف القديم الخالق تفنى كنتيجتها أوصاف المخلوق الحادث فإن الاحتفاظ بتواضع الجسد عند امتلاء الروح واستغنائها كالجمع بين الضدين وهما لا يتمشيان معا ، وعندما يتمتع الإنسان بحلاوة وصل الحبيب لا يأبه بالوسيلة التى أوصلته إلى تلك الحلاوة .

جعلنا الله منهم ورحمنا بهم آمين ثم آمين .

---

(١) مفتاح السعادة ، للإمام على بن أبى بكر .

(٢) حاشية الدر المختار ، للعلامة الطحطاوى (ط : دار المعرفة ، بيروت) ج١ ص٩٣ .

Marfat.com

النكتة الثالثة

فى حال كون اللغة العربية غير اللغة للعالم

إن العالم الذى هو من أصل عربى لا يحتاج إلى التركيز على القواعد فى لغته الأم ، أما إذا كان العالم [البارع فى العلوم الإسلامية والعربية] غير عربى بالإضافة إلى عدم تركيزه على اللغة العربية [مثل الإمـــام مســـلم ، والإمام البيهقى ، والإمام الفرغانى ، وغيرهم -رحمهم الله تعالى-] فـــإن وقوعه فى الخطأ اللغوى ممكن ، مع الأخذ فى الاعتبار أن هذا الأمر لا يدل على عدم علمه باللغة العربية ، ولا يجعله فى محل الطعن .

هل يجوز الاستدلال بالحديث النبوى الشـــريف علـــى العربيـــة أم لا ؟

يا هذا إن علماء العربية مختلفون فى أمر الاستدلال بالحديث النبوى الشريف على العربية ، فإن بعضهم لا يعتبرونه حجة فى هذا الأمر ، وذلك لأن الرواة إذا كانوا من العرب فالحديث المروى عنهم حجة وإلا فلا ، لأن النقل بالمعنى أمر شائع ، وفى هـــذا يقـــول المحقق على الاطلاق كمـــال الدين محمد بن الهمام :

((فى المسألة (أى مسألة الاستدلال بالحديث على العربيـــة) ثلاثـــة مذاهب : الإطلاق ، والمنع ، والتفصيل بين كون الراوى عربيا فنعـــم ، أو عجمياً فلا[1])) وعلى هذين المذهبين لا تكون مرويـــات ســـيدنا ســـلمان الفارسى ، وبلال الحبشى ، وصهيب الرومى صالحـــة للاحتجـــاج بهـــا ، أقول : ويجب استثناء جوامـــع الكلم ، فليس للنقل بالمعـــنى إليهـــا مـــن

---

(١) فتح القدير ، للإمام ابن الهمام ، ج١ ص١١ .

Marfat.com

سبيل ، وماذا يلحق من شين بالصحابة الثلاثة المذكورين آنفا نظرا لكونهم غير العرب ، وعدم صلاحية الاستدلال على العربية بمروياتهم ؟

يا هذا لقد استخدم الإمام البخارى -عليه رحمة العزيز البارى- والذى كان من أصل فارسى كلمة ((هَم)) الفارسية مكان كلمة ((أيضاً)) فى عبارته العربية ورويت عنه كذلك حيث قال : ((يزاد فى هذا الباب هم [كلمة فارسية بمعنى أيضاً] حديث مالك عن ابن شهاب ، ولكنى أريد أدخل فيه غير معاد[1])) ومن الواضح أن الإتيان بكلمة فارسية فى العبارة العربية أكثر من عدم الالتزام بالقواعد العربية ، فهل هذا الخطأ يقلل من قيمة الإمام البخارى ؟

يا هذا ! يحدثنا الإمام على بن المدينى أستاذ الإمام البخارى عن الإمام الأجل وشيخ المحدثين الأعلام وكيع بن الجراح أنه كان يلحن ، ولو ذكرت لك تلك الألفاظ تصاب بالدهشة والاستغراب ، فقد كان ينطق عيشة بدلا من كلمة عائشة علما على أم المؤمنين عائشة الصديقة -رضى الله تعالى عنها- وفى هذا يقول الإمام الذهبى : وكيع بن الجراح بن مليح ، أبو سفين الرواسى الكوفى ، الحافظ ، أحد الأئمة الأعلام ، قال ابن المدينى : كان وكيع يلحن ولو حدثت بألفاظه لكانت عجبا ، كان يقول : حدثنا الشعبى عن عيشة[2] .

---

(١) صحيح البخارى (كتاب المناسك باب التعجيل إلى الموقف) ج١ ص٢٢٦ .

(٢) ميزان الاعتدال (ترجمة رقم ٩٣٥٦ ، وكيع بن الجراح) ، للذهبى (ط دار المعرفة ، بيروت) ج٤ ص٣٣٤، ٣٣٥ .

Marfat.com

يا هذا ! لقد توجه بعض المخالفين بالطعن فى عربية الإمام الأجـــل أعظم الأمة الإمام أبى حنيفة –رضى الله تعالى عنه– وهذا الطعن مع الـــرد عليه مذكور فى التاريخ لابن خلكان وغيره من كتب التاريخ ، ولو افترضنا ضعف الإمـــام أبى حنيفة فى العربية فلا يرجع ذلك إلا إلى عدم اهتمامـــه بها نظراً للاشتغـــال بالمعنى ، ولا يخطر ببال أحد ولو أجهـــل النـــاس أن الإمام أبا حنيفة النعمان كان قليل الإلمام بالعربية . بل كان إمامـــاً جليـــلاً بارعاً فى علوم العربية أيضاً .

يا هذا ! ما سبب عدم الثقة فى عربية الشعراء المولدين ؟ إذ لا نجد عندهم قلة الاهتمام باللغة العربية ، بل نجد أن همم الشـــعراء والخطبـــاء خاصة المتأخرين منهم مركزة على الألفـــاظ ، ولكنهـــم مـــع هـــذا لا يعتبرون من العرب الخُلص فما سبب عدم الثقة فى عربيتهم مع أنهم ليسوا بخارجين من العرب ؟ ومن هنا نقول عن أئمة الدين غير المشغوفين بالألفاظ والذين يرون الاشتغال بالألفاظ أمراً مذموماً غير مهم : إنهم لـــو قللـــوا الاهتمام بقواعد العربية فهل جاؤا بما يثير الطعن فى عربيتهم ؟

Marfat.com

النكتة الرابعة
فى أقسام الفن وأحكامه
التى يجعلها المتكلم فيها نصب عينيه

أقول وبالله التوفيق : إن الإنسان عند حديثه فى فن من الفنون يجعل حديثه فى أربعة أقسام تالية :

القسم الأول : وهو المقصود بالذات من كل الوجوه يتمثل فى المعانى التى يعتبرها المتكلم فيها مقاصد الفن الذى هو بصدده ، ويسوق الكلام خصيصاً من أجل تلك المعانى كمسائل الصلاة فى باب الصلاة ، ومسائل الصوم فى باب الصوم .

القسم الثانى : مقصود بالذات من ناحية عموم المراد ، ومقصود بالغير من حيث خصوص المقام ، النوع الأول يتمثل فى تلك المعانى التى هى من مقاصد الفن فى حد ذاتها ولكن الكلام لم يسق من أجلها ، ومثال ذلك ورود بعض مسائل الصوم ضمن الأدلة والشواهد فى كتاب الصلاة وكذلك بالعكس ، فإن مسائل الصوم فى حقيقة الأمر وفى حد ذاتها من مقاصد الفقه ولكن ورودها فى كتاب الصلاة أمر تبعى وليس من مقاصد كتاب الصلاة ، والقارىء الكريم يجد أمثال النوعين المذكورين ضمن القسم الثانى كثيرا فى تعليلات ((الهداية)) وغيره من الكتب المعللة .

القسم الثالث : أمور ليست من مقاصد الفن الأصلية بل هى مقصودة بالذات ، كورود الأحاديث فى كتب الفقه ،أو ذكر مسائل الفقه فى كتب الأصول والحديث ،والقارىء الكريم يجد أمثال القسم الثالث فى

Marfat.com

جامع الترمذى بكثرة ، وفى صحيح البخارى بقلة ، وفى كتب الأصـــول ضمن الأمثلة والنظائر بوفرة .

القسم الرابع : أمور ليست من المقاصد الأصلية ولا مـــن التبعيـــة أصلاً ، إنما هى آلة لبيان المطالب الأصلية والتبعية وهى الألفاظ .

كتب الفروع تفوق كتب الأصول :

انظر أيها القارىء الكريم إلى الآثار التى ترتبت على قلة الالتفـــات من منظور القسم الثانى والثالث وفى هذا يقول العلامـــة ســـيدى أحمـــد الحموى : لا عبرة بما فى كتب الأصول إذا خالف ما ذكر فى كتب الفروع كما صرحوا به(١) .

ذكر المسألة فى غير بابها مظنّة التساهل :

لقد صرح (العلامة أحمد الحموى) كذلك بأن الحكم المذكور فى بابه أولى من المذكور فى غير بابه والذى يخالف الحكم المذكور فى بابه(٢) .

ورد فى الدر المنتقى ثم فى رد المحتار ما يلى : استفيد منه أن الحكم المذكور فى بابه أولى من المذكور فى غير بابه ، لأنه كأنه استطراد هكـــذا أفادنيه والدى فليحفظ . اهـ

وجاء فى حاشية الطحطاوى ما يلى : الذى يظهر أن ما هنـــا هـــو المعول عليه ، لأن ذكر الشىء فى غير محله قد يتساهل فيه(٣) .

---

(١) غمز العيون والبصائر شرح الأشباه والنظائر ، ج١ ص٢٤٥ .
(٢) رد المحتار ، للعلامة ابن عابدين الشامى ، ج٣ ص١٥٢ .
(٣) حاشية الطحطاوى على مراقى الفلاح .

Marfat.com

مما يستدعى التفكير أن التنـــازل عـــن القســـم الثـــانى والثـــالث (المذكورين آنفاً) يؤدى إلى التساهل ، فلابد أن يكون القسم الرابع موضع الإهمال والتساهل ، لذا لا نرى الضـــــعف فـــى الألفـــاظ مـــن آداب المحصلين ، ولا يعاب المصنف بسبب هذا الضعف ، كمـــا أننا لا نقول بناء على عدم التنقيح فى المسائل الفرعية الواردة فى كتب أصـــول الفقـــه أن المصنف غير فقيه ، أو أن كتبه الفقهية لا تبلغ مبلغ الاعتبار ، وإن نظـــير القسم الثانى موضح للمرام للغاية ، وقد تقرر أن يكون كلام هذا العـــالم المذكور فى غير الباب مرجوحاً نظرا للتساهل ، ولو كان هذا الكلام مـــن هذا العالم دالا على عـــدم دقته فكيف يكون كلامه الآخر المذكـــور فـــى الباب مستنداً ؟

من هنا نستطيع القول : إن عدم الاهتمام بقواعد العربية من طرف العلماء (فى بعض الأحيان) ليس إلا بسبب التساهل ، وهذا الأمر لا يثـــير الغرابـــة والاســـتعجاب وكذلـــك لا ينافـــى جلالتهـــم العلميـــة وفضـــلهم العميم .

Marfat.com

النكتة الخامسة

الضرورات الشعرية وآفاقها الواسعة وذم الانغماس فيها

لقد كان الكلام كله فى النثر فما بال النظم حيث إن مجال الشعر ضيق للغاية ، ولا يمكن المشى فى هذا المجال إلا بصرف الهمة تجاه أمور الشعر الزوائد على وجه الخصوص ، والذى لم ينظم الشعر ولم يتآلف بهذا الفن ولم ينظر فيه لا يعرف ما فى الشعر من ضيق المجال وعسر المقال وبعد المنال ، لذا جاء الشعراء المفلقون والسحرة المؤلفون بأمور فى نظمهم والتى تشوه حلية الفصاحة وتبطل قوانين العربية إذا أتوا بها فى نثرهم ، ألم يرد فى الكتب الأدبية أن القاعدة كذا وشذ الشعر الفلانى عن القاعدة للضرورة الشعرية ؟

نقل عن إمام أهل العربية أبى الحسن الأخفش قوله : حق هذا (كذا وكذا) إلا أنه يجيء فى الشعر ما لا يجيء فى الكلام (ملخص)[1] .

يقول ابن جنى : ((إن احتاج إلى ذلك فى شعر أو سجع فإنه مقبول منه غير منفى عليه))[2] .

ويقول الإمام الأخفش : إن صرف ما لا ينصرف مطلقا لغة الشعراء ، وذلك أنهم كانوا يضطرون كثيراً لإقامة الوزن إلى صرف ما لا

---

(١) الصحاح ، للجوهرى .

(٢) الخصائص ، لابن جنى .

Marfat.com

ينصرف ، فتمرن على ذلك ألسنتهم فصار الأمـــر إلى أن صرفـوه فـى الاختيار أيضاً[1] .

سبحان الله : إن الذين عاشوا فى أعطاف الشعر حتى أصبح الشعر دينهم ودنياهم وفنهم ، والذين أبحروا فى الشعر حتى نالوا البراعة وبلغـوا مبلغ السحر فى الشعر ، نراهم يأتون بأمور تخالف قواعد اللغة العربية بعذر الضرورة الشعرية ، ولو أنهم أتوا بهذه الأخطاء فى النثر لوصفوه بالخطـأ وقاموا بتخطئة أنفسهم ، إذا كان هذا حال تلك الصفوة فما بـال أئمـة الدين وعباد الله المخلصين الذين يرون زيادة الاشتغال بالشعر وكثرة النظم عيبا عليهم ، ومخالفة لقول النبى الأكرم صلى الله تعالى عليه وسلم : ((من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه))[2] وقد قال النبى -عليـه الصـلاة والسلام- ((لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحا حتى يرديه خير لـه مـن أن يمتلىء شعراً)) رواه الأئمة ، أحمد ، والستة عن أبى هريرة رضى الله تعـالى عنه[3] وقال -عليه الصلاة والسـلام- : ((هلـك المتنطعـون ، هلـك

---

(١) الخصائص ، لابن جنى .

(٢) جامع الترمذى ، ج٢ ص٥٥ .

(٣) صحيح البخارى (كتاب الأدب) ج٢ ص٩٠٩ .

صحيح مسلم (كتاب الشعر) ج٢ ص٢٤٠ .

جامع الترمذى (أبواب الأدب) ج٢ ص١٠٨ .

سنن أبى داود (باب ما جاء فى الشعر) ج٢ ص٣٢٧ .

سنن الدارمى (كتاب الاستيذان) ج٢ ص٢٠٧ =

Marfat.com

المتنطعون[1] رواه أحمد، ومسلم ، وأبو داود عن أبى مسعود -رضى الله تعالى عنه- وقال -عليه الصلاة والسلام- : ((الحياء والعى شعبتان من الإيمان ، والبذاء والبيان شعبتان من النفاق)) رواه أحمد ، والترمذى وحسنه ، والحاكم وصححه عن أبى أمامة -رضى الله تعالى عنه-(٢) .

وإن أئمة الدين لا يبغون البراعة فى النظم ، والمجال ضيق إذ يبحث الشعراء البارعون عن منافذ للقول ، فعدم اهتمامهم بقواعد اللغة ليس ببعيد ، وفى هذا المقام كنت أستطيع الإتيان بخمسة وعشرين نموذجاً على سبيل المثال مما نظمه أكابر شعراء العرب حيث ذهبت بهم الضرورة الشعرية إلى ما هو خارج عن قواعد العربية ويعد مهجوراً ، ولولا الضرورة الشعرية لكانت غلطة مهجورة ، ولكن شهرة هذه الأمور وظهورها منعنى من إيضاح الأمر الواضح .

=سنن ابن ماجه (أبواب الأدب) ص٢٧٥ .
مسند الإمام أحمد بن حنبل (ط : المكتب الإسلامى بيروت) ج٢ ص٢٨٨ ، ٣٣١ .

(١) صحيح مسلم (كتاب العلم) ج٢ ص٣٣٩ .
مسند الإمام أحمد بن حنبل ، ج١ ص٣٨٦ .
سنن أبى داود (كتاب السنة) ج٢ ص٢٧٩ .

(٢) جامع الترمذى (أبواب البر والصلة ، باب ما جاء فى العي) ج٢ ص٢٣ .
مسند الإمام أحمد بن حنبل ، ج٥ ص٢٦٩ .

Marfat.com

على القاصرين ألا يقلـــدوا كبـــار الشـــعراء فـــى التصرفـــات النادرة :

ومن الطريف أن التصرفات البعيدة عن القواعد تعتبر من خـــواص عظماء اللغة والبيان ، بينما منع القاصرون من الإتيان بهذه التصرفـــات ، فإنهم إن أتوا بها يعتبر صنيعهم هذا من عجزهم .

يقول الإمام المحقق على الاطلاق الإمام كمال الديـــن محمـــد بـــن الهمام : أما قول الشاعر : ((والأرض أبقل أبقالها)) بتأويل المكـــان ، فهـــو تصرف ليس لنا أن نفعـــله بل إنما أن نؤوّل الوارد عنهم مخالفاً لجـــادتهم ، لذا لم يورد أهل الشان هذا البيت إلا مثالا للشذوذ ، غير أنهـــم عللـــوا الواقع بما ذكروا إلا أنه أعطى ضابط صحة استعمال مثله لمن شاء[1] .

عندما يهمل أهل اللغة قواعدها ولا يعتنى بها من هو معتز ببراعتـــه فى اللغة فمن الغريب أن باب الإهمال لا يفتـــح لمـــن لا يعتنـــى باللغـــة وقواعدها اعتناء بالغاً (بل ينصب اهتمامه كله فى المعانى) .

يقول الشاعر الفارسى ما معناه : ((عيب علـــىَ مـــا هـــو مبعـــث الفخر عندك)) .

---

(١) فتح القدير ، للإمام محمد ابن الهمام ، ج١ ص٢٣٩ .

Marfat.com

النكتة السادسة

السبب النفيس لصدور كلمات رفيعة من أولياء الله الصالحين والمؤيد بحديث نبوى شريف

لقد تحدثنا حتى الآن عن كلام العوام وأحوال الأنام وأقول وأتوجه الآن إلى الوقت الخاص الذى يحصل للعوام عند حصول المرامات العظيمة ، ويحصل للأولياء الكرام -قدست أسرارهم- حين حصول الواردات الجليلة والتجليات الفخمة بكثرة ، أعنى البهجة التى تحيط مجامع القلب وتلهيه عما حوله ، وهذه اللحظة تواتى الألوف وتذوقهم حلاوة ﴿حتى تعلموا ما تقولون﴾[1] لقد ورد فى الحديث الصحيح أن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ضرب مثلا يبين حال عبد من العباد ، رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما بألفاظ عديدة عن عدة من الصحابة -رضى الله تعالى عنهم- والغرض يتعلق بأحد ألفاظ مسلم عن أنس بن مالك - رضى الله تعالى عنه- قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : ((لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة ، فانفلتت عنه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع فى ظلها قد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة

---

(١) سورة النساء ٤/٤٣ .

Marfat.com

عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح : (اللهم أنت عبدى وأنا ربك) أخطأ من شدة الفرح[1] .

لقد كانت هناك الفرحة المحضة التى ألهته عما يقول حيث إنه يريد شيئاً ولكنه يقول شيئاً أخر ، أما أولياء الله الصالحون -نفعنا الله تعالى بهم- فإنهم يتمتعون عند نزول التجليات الإلهية بالبهجة والسرور بالإضافة إلى الاستغراق فى مشاهدة الجلال والجمال الإلهيين وتبلغ بهم هذه البهجة إلى درجة تلهيهم عن أنفسهم ، وفى هذا يقول الإمام جلال الدين الرومى :

كل شىء قاله غير المفيق إن تكلف أو تصلف لا يليق

لا تكلفنى فإنى فى الفنا كلت أفهامى فلا أحصى ثنا

ومما قاله الشيخ الرومى فى بيتيه الفارسيين : عندما لم يكن موافقا للواقع كل ما يقوله (الرجل المشار إليه آنفا) لم يكن التصنع غير لائق جداً ، وماذا أقول فى ذلك الحبيب الذى لم يعرف حقيقته أحد كما حقها ، مع أننى لا أجد عرقا نشيطا فى جسدى .

وفى مثل هذه اللحظات يخرج من أفواههم فى نشوة التجليات الإلهية ما لا يعرفونه حتى أنهم ينسون من هم ؟ وأين هؤلاء ؟ فلا عجب لو خرج من فم أحد ((أنا الحق)) أو ((سبحانى ما أعظم شانى)) بدلاً من

---

(١) صحيح مسلم (كتاب التوبة) ج٢ ص٣٣٥ .

Marfat.com

قوله ((أنت الحق)) و ((سبحانك ما أعظم شانك)) وذلك على غرار ما نقله سيد الأنبياء -عليه أفضل الصلاة وأجمل التسليم- عن عبد من عباد الله تعالى يقول فى شدة الفرح : ((اللهم أنت عبدى وأنا ربك)) بدلا من أن يقول : ((اللهم أنت ربى وأنا عبدك))(١) وقد بشره الحبيب المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله : ((أخطأ من شدة الفرح)) فلا عتاب ولا مؤاخذة عليه شرعا فإن السلطان لا يقبض الخراج من الصعلوك .

جلالة مرتبة الشيخ عبد القادر الجيلانى وبيان الرؤية المنامية التى حظى بها الشيخ خليفه بن موسى رحمهما الله تعالى

هذا ما ذكرناه آنفا حال أهل السكر ، ولكن أخص الخواص الذين جعلهم سلطان الرسالة -عليه أفضل الصلاة والتحية- فى ظل حمايته وتربيته الخاصة ، ومنحهم إمامة الأمة وزعامة الملة بعد أن جعل كلا منهم الوارث الأتم والخليفة الأعظم ، وتأتيهم من الأعلى -جل جلاله- من القوى النبوية والفيوض المصطفية ما تأتى ، بناءً على تلك القوى والفيوض تتأهل قلوب أخص الخواص لحمل الأثقال العظيمة ولا يهتزون ، وقتئذ تصبح آية ﴿ما زاغ البصر وما طغى﴾ جُنة لهم ، ﴿وما كذب الفؤاد ما رأى﴾ حماية لهم ، وتتمتع قلوبهم برحابة جليلة تتسع بعد ذلك أفئدتهم لألوف من بحار ((سقانى الحب كأسات الوصال)) يشربونها ولكن تلك النفوس القدسية لا تقطر قطرة فى غير محلها من بحار الحب

---

(١) ولعل هذا ما عرف فى علم النحو ببدل الغلط .

Marfat.com

الإلهى ، وإنهم يتلذذون بمنات من كئوس ((فساقى القوم بالوافى مَـــلاَلى)) ولكنهم لا ينطـــقون بحرف يخالف الهَدْىَ النبوىَ ، إنهـــم أئمـــة الهـــدى ومصابيح الدجى ، المتتبعون لخطوات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وعلى نوابهم إلى يوم القيام .

إن الرؤيا المنامية التى رآها الشيخ خليفة ابن موسى نهر ملكـــى - قدس سره- تشير إلى مرتبة الإمام عبد القادر الجيلانى الرفيعة حيث إنـــه يقول : رأيت رسول الله -صلى الله تعالى عليـــه وســـلم- فقلـــت لـــه يا رسول الله لقد قـــال الشيخ عبد القادر الجيلانى : ((قدمى هـــذه علـــى رقبة كل ولى لله)) فقال : ((صدق الشيخ عبد القـــادر ، كيـــف لا وهـــو القطب وأنا أرعاه))[1] .

أقول وبالله التوفيق : إن خلاف الواقع يصدر من اللسان دونما قصد حينا وعن قصد حينا آخر ، وقد نفى النبى -صلى الله تعالى عليه وســـلم- أن يقول الشيخ عبد القادر الجيلانى خلاف الواقع وذلك بقولـــه -عليـــه الصلاة والسلام- ((هو القطب)) بمعنى أنه هو القطب ولا يليـــق ادعـــاء القطبية أمامه ، وذلك على أن التعريف للتخصيص ، وليـــس مـــن شـــأن القطب أن يكذب فضلاً عن سيد الأقطاب -رضى الله تعالى عنه وعنهـــم

---

(١) بهجة الأسرار ومعدن الأنوار ، للشيخ على بن يوسف بن جرير اللخمى الشطنوفى (ط : شركة مكتبة ومطبعة المصطفى الحلبى البابى بمصـــر ، دون ســـنة الطبـــع) ص١٠ .

Marfat.com

أجمعين- أما إدلاء القول الذى يخالف الواقع دون عمد إثر نشوة الحب الإلهى فقد برر النبى -صلى الله تعالى عليه وسلم- موقف الشيخ عبد القادر الجيلانى من هذا الأمر بقوله : ((أنا أرعاه)) كأنه يقول : أنا أرعاه بالقوى المحمدية وأثبت قلبه على الهدى ، كما أجعل قلبه ولسانه فى اتباع الأنبياء ، فكيف يمكن أن يقول ابننا ما يخالف الواقع ، أو يدعى مثل أهل السكر بالدعاوى الحالية .

الحمد لله هذا هو المعنى -الذى بيناه آنفا- لما اشتهر عن سيدنا الشيخ عبد القادر الجيلانى (قدمى هذه على رقبة كل ولى لله) وليس ما ذهب إليه واخترعه بعض معاصرينا ، وإنهم استخرجوا معان لم يقصدها شيخنا الجليل إنما استخرجوها لينكروا فضل الشيخ عبد القادر الجيلانى ، وتفصيل ذلك فى رسالة هذا العبد الفقير ((مجير معظم)) (١٣٠٣هـ) وفى شرح القصيدة المدحية ((أكسير أعظم)) (١٣٠٢هـ) .

يا هذا إن جلوس الشيخ عبد القادر على المنبر خير تصديق لقول الرسول -صلى الله تعالى عليه وسلم- ((أنا أرعاه)) وهناك أمور أخرى تصدق مقولة الرسول -صلى الله تعالى عليه وسلم- المذكورة آنفاً منها تفضله -رضى الله تعالى عنه- على المنبر واتساع المنبر الشريف مد البصر لورود تجلى الجمال ونمو جسده -رضى الله تعالى عنه- نموا عظيماً ، ثم انكماشه حتى صار كالعصفور وذلك نظراً لتجلى الجلال ، ثم ورود التجلى الأعظم عليه -رضى الله تعالى عنه- والذى لا يمكن تحمله إلا بقوة النبوة ثم تمايله إلى الأرض إلى حد السقوط على الأرض فظهور الحبيب

Marfat.com

المصطفى -صلى الله تعالى عليه وسلم- لإنقاذه من السقوط بالقوى الإلهية التى كان الحبيب المصطفى -صلى الله تعالى عليه وسلم- يتمتع بها[1] وأمثال هذه الأمور مذكورة بالتفصيل فى البهجة المباركة وغيرها من الكتب المعنية بسيدنا الشيخ عبد القادر الجيلانى ، وإنه -رضى الله تعالى عنه- القائل : ما رفع المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم قدما إلا وضعت أنا قدمى فى الموضع الذى رفع قدمه منه ، إلا أن يكون قدما من أقدام النبوة ، فإنه لا سبيل أن يناله غير نبى[2] .

ومما قلته فى مدح سيدنا الشيخ

١- لقد جاء التاج وعرش سليمان على نبينا وعليه الصلاة والسلام من الشام إلى العراق . السلام عليك يا وارث ملك سليمان .

٢- إن قيامك بوضع القدم من حيث يرفع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قدمه المباركة غير أقدام النبوة فإنه لا سبيل أن يناله غير نبى .

٣- يا رئيس ندوة ((كاسات الوصال)) يا من يرمى جرعة نصيبا للأرض من كأس الكرام .

٤- والعجب أن تاج قدمك على الرؤس للعون إلى ملك بغداد وكأس عشقك فى أفواه محبيك (أى يشربونها) .

---

(١) بهجة الأسرار ، للشطنوفى ص٩٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص٢٢ .

Marfat.com

٥- لو أنك تمر على بيت أظلمه الهم والحـــزن لتعـــالت هتافـــات السرور من الساحة ونزلت الأنوار من الجدران .

٦- إن الروح فداء لرأسك المبارك ، وما أحسن سيادتك التى على أرضها الرؤس ساجدة (لجلالة الله خالقك) .

٧- لا أبقى الله رأس متمرد يحوّل رأسه عنك تكبرا ، فـــإن رؤس السادة البارزين مفروشة تحت قدمك .

٨- إننى أنهى كلامى بمدح رأسك المبارك فإن ما أقوله فى مـــدح رأسك المبارك كلام عادى للغاية ولابد أن أخرج فكرة مدحك من رأســـى والسلام على قدمك من الرؤس الكثيرة .

٩- مائة سلام على جمالك من أحمد رضا الصعلوك يا مـــن تمثلـــت فيه السيادة(١)

---

(١) هذه ترجمة عربية لأبيات نظمها الإمام أحمد رضا خان بالفارسية فى مدح الشـــيخ عبد القادر الجيلانى .

يستهل الشاعر منظومته هذه بالاشارة إلى مدى تأثير الشـــيخ عبـــد القـــادر الجيلانى وتعليماته الصوفية فى العالم الإسلامى مشبها ذلك بملك سليمان ، كمـــا يشير فى البيت الثانى إلى مقولة الشيخ عبد القادر الجيلانى سالفة الذكـــر وفـــى البيت الثالث يسلك الشاعر مسلك الرمز فيتخذ من لامية الممدوح رمزا للحـــب الإلهى ويسأله شيئاً من هذا الحب مستشهدا بقول القائل : ((وللأرض من كـــأس الكرام نصيب)) وهذه غاية التواضع كأن الشاعر أرض يسأل ممدوحه الكرم، وفى البيت الرابع يذكر الشاعر قراءة مقولة الشيخ عبد القادر الجيلانى : ((قدمـــى=

Marfat.com

خلاصة القول : إن سيدنا الشيخ -رضى الله تعالى عنه- يعد بحق إمام الفريقين ونظام الطريقين ، وسيد أصحاب الصحو ، والوارث الأكمل لسيد المرسلين -صلى الله تعالى عليه وعليهم أجمعين وبارك وسلم- لذا نرى أن الله تعالى حمى سيدنا الشيخ من شطحات السكر ، وأكرمه بجعل أقواله وأفعاله وأحواله وأعماله سببا لإحياء الملة ومطلبا للسنة ، فإنه لا يقول حتى يؤمر بالقول ، ولا يعمل حتى يؤذن ، رضى الله تعالى عنه وأرضاه وحشرنا فى زمرة من تبعه ووالاه ، آمين .

ومع هذا وذاك هناك التجليات العظيمة والواردات الجسيمة التى يلهى عشر معشارها عامةَ الناس عن أنفسهم ، بيد أننا لا نجد عند سيدنا الشيخ عبد القادر غير الاطمئنان والاستقامة ، ولكننا فى بعض الأحيان نرى منه عدم الاهتمام بالألفاظ حيث لا نجد الحفاوة ببعض القواعد العربية ، فليس هذا محل الاستغراب ، يا هذا لو كان الأمر كما قلنا فإن

=هذه على رقبة كل ولى لله)) ونرى الشاعر من خلال البيت الرابع أنه يطلب من روح شيخه الجليل الكرم حيث إنه يرى ويعتقد أن الله تعالى أكرم أرواح الأولياء بقوة التصرف فى الكون ، والبيت السادس يعرب عن حب الشاعر بالممدوح ، وما أجمل التعبير ، وفى البيت السابع يدعو الشاعر على من ينكر فضل ممدوحه ، وفى المقطع يعبر الشاعر عن عجزه عن مدح الشيخ الجيلانى سالكا مسلك التواضع ، والمنظومة تدل على حب الشاعر بالممدوح ، وتمكنه من ناصية اللغة الفارسية . تعليق من المترجم ممتاز أحمد سديدى كان الله له .

Marfat.com

شيخنا أهمل جانبا من الأمور الزوائد والشكر لله تعالى الذى أنقـــذه مـــن الزلات فى الأمور التى تعد من أساسيات الديـــــن وذلـــك خـــلال ورود التجليات الجسيمة والواردات العظيمة والحمد لله رب العالمين .

Marfat.com

النكتة السابعة

فى أن أولياء الله تعالى يلحنون عن عمد فى بعض الأحيان ولهم فى ذلك أسرار

إنه أمرغامض أن أولياء الله تعالى -قَدَّسَنَا الله تعالى بأسرارهم- يلحنون عن عمد فى بعض الأحيان ، ولهم فى أمرهم هذا أسرار أنظارنا قاصرة عن إدراكها ، يحدثنا الشيخ كليم الله الجشتى الجهان آبادى فى كتابه الرقعات عن ((صلاة الأسرار)) أى الصلاة الغوثية (وهى تتمثل فى التوسل بالشيخ عبد القادر الجيلانى إلى الله سبحانه وتعالى) وإنه بعد سرد الترتيب لهذه الصلاة يقول : ثم يصلى على حضرة النبى -صلى الله تعالى عليه وسلم- فيردد الرباعية التالية ألفا ومائة وأحد عشر مرة

أيدركنى ضيم وأنت ذخيرى أأظلم فى الدنيا وأنت نصيرى

فعار على حامى الحمى وهو إذا ضاع فى البيداء عقال بعيرى

كل حاجة يطلبها (من ربه بوسيلة الشيخ عبد القادر الجيلانى) فإنها تقضى ، وفى بعض الأحيان تظهر الروح الطاهرة للشيخ عبد القادر الجيلانى فترد على السؤال ، واعلم أن فى كلمتى حامى الحمى بعض الخلاف ، فإن الشيخ أبا يزيد يقول : إذا أراد الرجل زيارة الشيخ عبد القادر الجيلانى فعليه أن يقرأ حامى الحماء بكسر الحاء وفتح الهمزة بدلا من حامى الحمى ، وإذا أراد صداقة أحد ، أو حصول وظيفة أو الزواج يعنى أراد حاجة تتضمن معنى الاتصال فعليه أن يقرأ بضم الهمزة ، وإذا

Marfat.com

أراد قهر الأعداء يعنى طلب حاجة تتضمن معنى الكسر فيقـــرأ بكســر الهمزة ، مع أن وزن البيت لا يستقيم لأن الألف المقصورة والممـــدودة لا تستقيمان مع الوزن ، كما لا تمشيان مع التحليل النحوى أيضاً ، فإن كسر الهمزة (فى كلمة الحماء) أنسب ولا يجوز فتح الهمزة ، وكتب إلىّ الشـــيخ فريد ميرتى وهو يقول إنه يقـــرأ لفظ ((الضيم)) مرفوعا بالفاعليـــة ألـــف مرة ، بيد أن الشيخ أبا يزيد يقرؤه منصوبا على أنه التمييز مـــن الضمـــير المستتر فى ((يدرك)) وذلك على غرار رُبَّهُ رجلا . انتهى بلفظه الشريف .

لذا أوصى بعض المشايخ أن اللفظ يقرأ كما نقل عـــن أوليـــاء الله الصالحين -قدست أسرارهم- ولا يغير اللفظ وإن كان اللحن يفرض نفسه فى ظاهر الأمر ، فإن لهم أسرارا لا نعلمها ، والبركـــة مطروحـــة فيمـــا نطقت ألسنتهم .

Marfat.com

النكتة الثامنة

إهمال الأولياء الأجلاء والأئمة والعلماء الكبار فى أمر العربية

إن الإنصاف خير الأوصاف ، وعلى المنتقص من قـــدر القصيـــدة الخمرية المباركة أن ينظر فى المثنوى المعنوى للإمام الأجل والعارف الأكمل سيدى ومولاى محمد بن محمد بن حسيـــن جلال الملة والديـــن البلخـــى الرومى –قدس سره الشريف– فإنه يجد فى عباراته العربية ضمن الأبيـــات أو الأشعار الكاملة أو المصاريع ، أو أجـــزاء المصاريع مئات الأمـــور لـــو رآها من منظور قواعد العربية حقيقة أو بنظر التنقيص لاعتبرها أخطـــاء ، هذا فى العبارات العربية ، أما العبارات الفـــارسية فنجد فيها ألفاظـــاً لا تعد ولا تحصى لو قرأناها بالنطق الصحيح لوقعنا فى زحافات يرفضها النظم الفارسى ويكرهها الطبع والسمع السليمـــان ، ومن هنا فإنه لا يســـتطيع أحد غير الذى لم يعرف تعظيم الأولياء أن يصف الشيخ الرومـــى بعـــدم البراعة فى قول الشعر ، أو العاجز عن النظم اللطيف ، ومن الممكـــن أن يتفوه المتمرد على الشيخ الرومى إثر إصابته بالجنون فينفى عـــن الشـــيخ الرومى قيامه بتصنيف المثنوى المعنوى ، إننى أقدم إلى حضراتكـــم بعـــض النظائر من القسم الأول (اللحن فى العبارات العربية) قال (الشيخ الرومى) قدس الله سره وأفاض علينا نوره

ع : تا إليه يصعد أطياب الكلم .

ف : هكذا تعرج وتنزل دائما *** ذا فلا زالت عليه قائما

Marfat.com

ع : مزء مخفى لدى طى اللسان

ع : بازخوان فأبين أن يحملنها

ف : سرامسينا لكرديا بدان *** راز أصبحنا عرابيا بخوان

ع : يشهد الله والملك وأهل العلوم

ع : كاد فقر أن يكن كفر كبير

ع : كفت ببغمبر كه عينائى تنام

ع : لحن خواندن لفظ حى على الفلاح

ف : كوئى الله أكبر وآن شوم را *** سربرتا وادهد جان ازغنا

ف : الكياسة والأرب لأهل المدر *** الضيافة والقرى لأهل الوبر

ع : ليك إذا جاء القضا عمى البصر

ف : أعط ما شاءوا وراموا وضهم *** ياظعينا ساكنا فى أرضهم

ع : استعينو فى الحروب يا ذو النبى

ع : كفت : المرؤ مع محبوبه

ع : كل شىء ما خلا الله باطل

ع : كفت أليس الله بكاف عبده

ع : جون محبم حب يعمى ويصم

Marfat.com

وفى هذه المجموعة يجد القارىء الكريم نظائر القسم الثانى (اللحن فى العبارات الفارسية) أيضاً ، إلى غير ذلك مما يكثر عدها ويطول سردها ، سبحان الله ، ألم يكن الشيخ الرومى يعلم أن ثمة همزة مفتوحة بعد الفاء لا الألف فى قوله : فأبين أن يحملنها ، ألم يكن يعرف أن العين ليست ساكنة فى : ((حى على الفلاح)) وقس على هذا ما تركنا ، حاشا وكلا إن الشيخ الرومى علمه غزير ، وكماله كبير ، وشأنه عظيم وقدره فخيم ، هذه الأمثلة التى قدمناها لا تساوى شيئاً ، إنه -رحمه الله تعالى- كان ملما بحقائق العربية ودقائقها قطعا وجزما ، وإنه أتى بهذه العبارات (التى أشرنا إليها) عن عمد ، وذلك لأنه كان مركزاً على إفادة المقاصد العالية ونظم الفرائد الغالية ، فكان يتجنب الخلل فى تحقيق هذا الهدف ، وكان يفضل الاشتغال بالأمور المهمة من الاهتمام بإصلاح الأمور التى تعد من الزوائد ، وأنا لا أدرى ماذا يقول المتمرد على الشيخ عبد القادر الجيلانى عن الشيخ الرومى ، فإن كان يرغب فى الطعن فعليه بالدفتر الثالث من الجزء الأخير من المثنوى حيث يتحقق مطلبه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم تعالى وتبارك .

Marfat.com

النكتة التاسعة

إن الكمال فى اللغة لا يعد من كمال أهل الكمال بل يعتبر من الزوائد

يقول العبد الفقير إلى الله العلى القدير أن حقائق اللغة والعروض لا تعد من الكمال الدينى ولا ينحصر عليها كمال دينى بل هى زوائد محضة ، فماذا ينقص بنقصها ، إن المقدمة الأولى تبين لنا أن الكفار شركاء فى الإلمام بحقائق اللغة والعروض ، وهناك بون شاسع بين شعراء الإسلام وشعراء الجاهلية وذلك واضح فى القرآن الكريم ، والله سبحانه وتعالى هو القائل عن الحبيب المصطفى -صلى الله تعالى عليه وسلم- : ﴿وما علمناه الشعر وما ينبغى له﴾[1] أما المقدمة الثانية فيتجلى صدقها من حديث الرسول -صلى الله تعالى عليه وسلم- : ((أنتم أعلم بأمور دنياكم)) أخرجه مسلم فى صحيحه عن أم المؤمنين الصديقة وأنس بن مالك[2] .

وفى حديث جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما : ((خرج علينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ونحن نقرأ القرآن وفينا الأعرابى والعجمى فقال : اقرأوا فكل حسن وسيجيء أقوام يقيمونه كما يقام

---

(١) سورة يسين ٣٦/٦٩ .

(٢) صحيح الإمام مسلم (كتاب الفضائل باب وجوب امتثال ما قاله شرعا الخ) ج٢ ص٢٦٤ .

Marfat.com

القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه)) رواه أبو داود[1] والبيهقى فى شعب الإيمان[2] ومما هو معلوم أن لهجة الأعاجم والأعراب لم تكن من الفصاحة بمكان بمثل لهجة العرب ولكن النبى -صلى الله تعالى عليه وسلم- استحسن وقرر لهجتهم ، كما استنكر التجويد الذى لا فائدة له والذى يهتم بالزوائد ويهمل المقصود ، والعياذ بالله رب العالمين .

تكريم سيدنا الشيخ عبد القادر بالفصاحة من رحاب النبى - صلى الله تعالى عليه وسلم- :

هل عدم إلمام الصحابة الأعاجم والأعراب باللغة العربية الفصحى مثل العرب المتأخرين يورث النقصان ؟ ثم ربنا -عز وجل- لم يحرم سيدنا الشيخ عبد القادر الجيلانى من فضل الفصاحة والبراعة فى لغة الضاد .

انظروا فى بهجة الأسرار حيث ورد أن سيدنا الشيخ عبد القادر الجيلانى رأى جده صلى الله تعالى عليه وسلم فدار بينهما الحوار على النحو الآتى : يقول الشيخ عبد القادر الجيلانى : رأيت رسول الله -صلى الله تعالى عليه وسلم- فقال لى : يا بنى لم لا تتكلم ؟ (أى لا تخطب) قلت : يا أبتاه أنا رجل أعجمى كيف أتكلم على فصحاء العرب

---

(١) سنن الإمام أبى داود (كتاب الصلاة ، باب ما يجزى الأمى والأعجمى من القراءة) ج١ ص١٥ .

(٢) شعب الإيمان (ط : دار الكتب العلمية بيروت) ج٢ ص٥٣٨ .

Marfat.com

ببغداد ، قال لى : افتح فاك ، ففتحته فتفل فيه سبعا ، وقال لى : تكلم على الناس ، وادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، فصليت الظهر وجلست ، وحضرنى خلق كثير فارتج على ، فرأيت على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه قائما بإزائى فى المجلس فقال لى : يا بنى لم لا تتكلم ؟ فقلت : ((يا أبتاه قد ارتج على)) فقال : ((افتح فاك)) ففتحته فتفل فيه ستا ، فقلت : لم لا تكملها سبعا ؟ فقال : تأدبا مع رسول الله-صلى الله تعالى عليه وسلم-[1] وبعد هذا تفجرت بحار العلوم من صدره الشريف إلى لسانه الطاهر وأدلى بكلام فصيح سلس للغاية بطلاقة بالغة ، الأمر الذى جعل فصحاء العرب ينقادون وينحنون لفصاحته ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾[2] ولو كان سيدنا الشيخ تفضل بكلام لا ينسجم مع كلام العرب قبل هذا العطاء النبوى فذلك الكلام ليس بمحل القول والطعن فيه ، ويمكن أن تكون الوقائع والأحداث التى ظهرت بعد العطاء المصطفىّ من باب الإلقاء من الله سبحانه وتعالى والله سبحانه وتعالى أعلم .

---

(١) بهجة الأسرار ، للشطنوفى ، ص٢٥ ،٢٦ .

(٢) وهنا أورد الشيخ أحمد رضا خان بعض الأبيات الفارسية فى مدح الشيخ عبد القادر الجيلانى مما نظمه أبو المعالى ، والغربتى ، كما ذكر رباعية أردية نظمها العلامة المصنف بنفسه ، فرأيت ألا أورد هذه الأبيات الفارسية التى أخشى ألا أتمكن من إبراز جمالها .

Marfat.com

النكتة العاشرة

لحن المحبوبين أحب من صواب الآخرين

لقد كان الكلام كله من منظور أن غرض الطاعن فـــى القصيـــدة الخمرية هو نفى نسبتها عن الشيخ عبد القادر الجيلانى ، يعنى أن الطـــاعن يرى أن فى لغة هذه القصيدة كلاماً لذا لا يصح نسبتها إلى سيدنا الشـــيخ عبد القادر الجيلانى -رضى الله تعالى عنه- ولو كان طعنه فى القصيدة بعد إثبات نسبتها إليـــه -رضى الله تعالى عنه- فليكن الـــتراب علـــى وجـــه العصبية ، فإن هذا الرجل العصبى يجد جزاء عمله يوم الجـــزاء ، لأنـــه لا يطعن فى المحبوبين عند الله تعالى إلا شقـــى وعنيد ذو فساد فـــى الديـــن والعياذ بالله من كل فساد .

يا هذا لو اعترفنا بلحن صريح فى بعض الكلام لأحد المقربـــين إلى رب العالمين -جل جلاله- بغض النظر عن هذا وذاك فإن لحنه أحب إلى الله سبحانه وتعالى مائة ألف مرة من صوابك أنت ، اسمع ماذا يقـــول الشـــيخ الرومى -قدس سره- فى -المثنوى المعنـــوى- إنـــه القـــائل إذا كـــان حديثك غير مستقيم (أى من ناحية القواعـــد) والمعنى سليم فإنه مقبـــول عند الله تعالى ، وإذا كان الزيغ فى المعنى والكلام مرصع فلا يليق ذلـــك الكلام بشىء من الحفاوة .

فى بيان أن خطأ المحبين خير من صواب غيرهم :

يقول الشيخ الرومى -رحمه الله تعالى- : ذلك بلال الصادق الذى كان يلحن فى الآذان للصلاة فيغير حى ويقول هَىْ ويؤذن بكل التواضـــع

Marfat.com

حتى قال أصحاب الرسول -صلى الله تعالى عليه وسلم- إن هذا اللحـــن (هّى) غير مستقيم ونحن فى مستهل عهد الإسلام .

قالوا أيها النبى الرسول -عليك الصلاة والسلام- نريـــد مؤذنـــا أفصح من بلال ، فإن اللحن فى حى على الفلاح فى بداية عصر الإســـلام ليس إلا عيبا ، فظهـــرت آثار الغضب على رسول الله -صلى الله تعـــالى عليه وسلم- وكشف الغطاء عن بعض العطايا الإلهية السرية على ســـيدنا بلال قائلاً : إن لحن بلال أحب إلى الله سبحانه وتعالى من مائة حى علـــى الفلاح من غيره من الطاعنين فى لحنه فلا ترفعوا أصواتكم حتى لا أفشـــى أسراركم من البداية إلى النهاية .

اللهم إنى أعوذ بك من جهد بلائك ، وأسألك حسن الأدب مـــع جميع أوليائك ، آمين ، آمين ، آمين ، إلـــه الحـــق آمـــين ، والحمـــد لله رب العالمين .

Marfat.com

تنبيه نبيه[1]

الحمد لله سبحانه وتعالى ، فقد وصل الكلام نهايته ، وبلغ ارتيـــاب رتاب منتهاه ، ولقد بقى أن أبين أن حديثى هذا من البداية حتى النهايـــة كان بناء على الافتراض بأن فى القصيدة الخمرية بعض المخالفات لقواعـــد العربية ، فلينظر المنكر لفضل سيدنا الشيخ فى افتراضنا بعـــض الأخطـــاء اللغوية فى القصيدة الخمرية ولكن بركات الشيخ عبـــد القـــادر أيدتنـــى فاستطعت أن أجعل إنكار المنكر هباء منثورا ، وإننا نريد أن نقنع الطـــاعن فعليه أن يخبرنا بما يختـــلج فى خاطره بالتفصيـــل حتى نبسط له الكـــلام ونتمتع بالمزيد من بركات سيدنا الشيخ عبد القادر الجيلانى ، يـــا هـــذا لا تستحيى فى إبراز خواطرك حتى نعرف ماذا فى الخمرية من الأغلاط والتى بسببها ترفع الصيحات ، أرجو أن ينجلى الحق للطاعن فى لغة القصيـــدة بإذن الله القادر سبحانه وتعالى .

يا هذا إن الإنسان يظن الصحيح غلطا بسبب جهله وذلك فى أمر المحبوبين عند رب العالمين -جل جلاله- وصدق المتنبى حين قال :

وكم من عائب قولا صحيحـــا وآفتـــه مـــن الفهـــم الســـقيم

---

(١) إن هذا التنبيه يتوجه إلى من ينفى نسبة الخمرية إلى الشـــيخ عبـــد القـــادر الجيلانى ، وبالتالى إلى الذى يطعن فى لغة القصيدة مع إثبـــات نســـبتها إلى سيدنا الشيخ ، ولكن هذا التنبيه يتوجه بصفة خاصة إلى الطاعن فـــى لغـــة القصيدة (تعليق من المصنف) .

Marfat.com

وإن أهل العصبية والعناد يمارسون الطعن فى أهل الحق ، وتصفـــر وجوههم عندما يطلب منهم ما يثبت دعواهم وذلك على حد قول الشاعر:

كغرائر الحسناء قلـــن لوجههـــا حسدا وبغضـــــا إنـــه لدميـــم

يا هذا عليك بنفسك حتى لا يتبين غباؤك وجهلك بالعلوم والحرمان من الوصول إلى المفاهيم ، والوقوع فى الخطأ حيث قال القائل :

يا ناطح الجبل العالى ليكلمـــــه اشفق على الرأس لا تشفق على الجبل

ويقول هذا العبد الفقير إلى الله العلى القدير [فى بيت فارسى مـــا معناه كالتالى] : يا من يضرب الجبل برأسه حتى تجعله مثـــل الشـــعر ، لا تشفق على الجبل اشفق على رأسك .

إن هذا العبد الضعيف -غفر الله تعالى له- نظر فى القصيدة المجيدة نظرة تفصيلية -والحمد لله تعالى- لم يجد من أولها إلى أخرها موضعا يوصف بالخطأ ، وذلك بعد إحاطة مسائل الأدب ، واللغة العربيـــة ، ومجريـــات الشعر ، وفن العروض ، ونقاط المعانى ، ولطائف الفكر الصائب والنظـــر الثاقب ، اللهم إلا موضعا رفع فيـــه الشك رأسه ، ولكن هـــذا الشـــك سوف يزول ببركة انتسابنا إلى الشيخ عبد القادر الجيلانى -إن شـــاء الله تعالى- ولو افترضنا بقاء شبهة فى موضعها فلا يجعله ســـببا للطعـــن فـــى القصيدة إلا جهول ، والذى يُدخل نفسه فى مثل هذه المطاعن ماذا يفيـــد من الصحاح الستة ، والشفاء للقاضى عيـــاض ، والهدايـــة ، والفتـــاوى

Marfat.com

الخانية ، والإشباه والنظائر ، والدر المختار ، وغيرها من جلائل الأسفار والتى سبق أن ذكرناها ضمن النكتة الثانية ، ثم ماذا تكون مرتبة هؤلاء الأعلام فى نظر ذلك الجهول عن منزلة تلك الصفوة المختارة .

أسأل الله العلى القدير أن يلهمنا بوسيلة محبوبيه حب الأولياء والعلماء ، وأن يعلمنا حسن الأدب معهم ، ويميتنا على الدين الحنيف والملة البيضاء ، إنه ولى ذلك والقدير عليه ، والخير بيديه ، والأمر إليه ، وصلى الله تعالى وبارك وسلم على المولى الرؤف الرحيم الأكرم وآله وصحبه سادات الأمم ، وابنه الكريم ، الغوث الأعظم (الشيخ عبد القادر الجيلانى) وعلينا بهم ، يا أرحم الراحمين ، والحمد لله رب العالمين آمين ، آمين يا أكرم الأكرمين ، سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك .

كتبه : عبده المذنب أحمد رضا البريلوى عفى عنه بمحمد المصطفى النبى الأمى صلى الله تعالى عليه وسلم .

فرغت من تعريب هذه الرسالة فى ٢٨ من شهر ربيع الأول ١٤٢٠هـ الموافق غرة يوليو ٢٠٠٠م . أسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، رب اغفر لى ولوالدى ولأساتذتى ومشايخى وللمؤمنين يوم الحساب .

Marfat.com

الفهرس

التعريف بالمصنف وتأليفه ٣

تقريظ لفضيلة الشيخ محمد القادرى الشامى ١٣

مقدمة المصنف ١٨

سند القصيدة الخمرية ٢٢

النكتة الأولى فى الاحتفاء بقواعد اللغة العربية وإهمالها ٢٧

النكتة الثانية بيان عدم الاهتمام بعض الأئمة بقواعد الإعراب ٣١

النكتة الثالثة فى كون اللغة العربية غير اللغة للعالم ٤٩

النكتة الرابعة فى أقسام الفن وأحكامه ٥٢

النكتة الخامسة الضرورات الشعرية وآفاقها الواسعة ٥٥

النكتة السادسة السبب النفيس لصدور ذلك من الأولياء ٥٩

النكتة السابعة فى أن الأولياء يلحنون عن عمد لبعض الأسرار ٦٨

النكتة الثامنة فى إهمال الأولياء والأئمة فى أمر العربية ٧٠

النكتة التاسعة الكمال فى اللغة لا يعد من كمال أهل الكمال ٧٣

النكتة العاشرة لحن المحبوبين أحب من صواب الآخرين ٧٦

تنبيه نبيه ٧٨

Marfat.com

Marfat.com

Marfat.com

ألـفـت هـذه الـرسا لة فى الذب عن لا مية الشيخ عبد القادر الجيلانى رضى الله تعالى عنه ـ والتى عرفت بالخمرية فى الأوساط الصوفية و قد سلك ناظمها فيها مسلك الرمزية كغيره من شعراء الزهد و التصوف ، إذأنهم ذكرو ا الخمر فى قصائد هم الوجدانية معبرين به عن مواجيدهم و مدى نشو تهم عند تـنـاولهـم كـئـوس الـحـب الإلهـى ، و مـؤلف هـذه الرسالة يثبت و يقر نسبة الـخـمـر ية إلـى الشيخ عبدا لقادر الجيلانى أولا ثم ير د على من يطعن فى لغة الخمر ية بحجة اللحن فيها ، وقد ذهب المؤلف إلى نفى أىّ لحن فى القصيدة ، ثـم عـقـب عـلـى حكمه هذا بقوله : إذا افتر ضنا اللحن فى الخمرية فلا يعنى ذلك أن نـنـفـى نسبتهـا إلـى مـولانا الشيخ عبدالقادر الجيلانى ، فإن كثيرا من الشـعـرا ء الأجـلاء والأئمة العلماء لحنوا فى بعض الأحيان دون عمد و ذلك لانـكـبـابهـم على المعانى التى هى كالروح للألفاظ ،إنها قضية اللفظ والمعنى التـى أثارت جدلا واسعا بين البلاغيين منذ عبد القاهر الجر جانى إلى يومنا هذا، فـمـنهـم من يهتم باللفظ أكثر منه با لمعنى،ومنهم من ير كز على المعنى دون الـمبا لغة فى الاحتفا ء باللفظ ، ومن هنا نريد أن نقول : إن مؤلف هذه الرسالة يهـدف إلى الدفا ع عن الخمرية بإثبات نسبتها إلى الشيخ عبدالقادرالجيلانى ، و نـفـى الـلـحـن عـنها، ويبر ء الخمرية عن اللحن الذى زعمه بعض الناس فى عـصره ، ولايدعو إلى اللحن فى العربية لامن قريب ولامن بعيد ، والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل.

Marfat.com

ألـفـت هـذه الـرسا لة فى الذب عن لا مية الشيخ عبد القادر الجيلانى رضى الله تعالى عنه ـ والتى عرفت بالخمرية فى الأوساط الصوفية و قد سلك ناظمها فيها مسلك الرمزية كغيره من شعراء الزهد و التصوف ، إذأنهم ذكرو ا الخمر فى قصائد هم الوجدانية معبرين به عن مواجيدهم و مدى نشو تهم عند تـنـاولهـم كـئـوس الـحـب الإلهـى ، و مـؤلف هـذه الرسالة يثبت و يقر نسبة الـخـمـر ية إلـى الشيخ عبدا لقادر الجيلانى أولا ثم ير د على من يطعن فى لغة الخمر ية بحجة اللحن فيها ، وقد ذهب المؤلف إلى نفى أىّ لحن فى القصيدة ، ثـم عـقـب عـلـى حكمه هذا بقوله : إذا افتر ضنا اللحن فى الخمرية فلا يعنى ذلك أن نـنـفـى نسبتهـا إلـى مـولانا الشيخ عبدالقادر الجيلانى ، فإن كثيرا من الشـعـرا ء الأجـلاء والأئمة العلماء لحنوا فى بعض الأحيان دون عمد و ذلك لانـكـبـابهـم على المعانى التى هى كالروح للألفاظ ،إنها قضية اللفظ والمعنى التـى أثارت جدلا واسعا بين البلاغيين منذ عبد القاهر الجر جانى إلى يومنا هذا، فـمـنهـم من يهتم باللفظ أكثر منه با لمعنى،ومنهم من ير كز على المعنى دون الـمبا لغة فى الاحتفا ء باللفظ ، ومن هنا نريد أن نقول : إن مؤلف هذه الرسالة يهـدف إلى الدفا ع عن الخمرية بإثبات نسبتها إلى الشيخ عبدالقادرالجيلانى ، و نـفـى الـلـحـن عـنها، ويبر ء الخمرية عن اللحن الذى زعمه بعض الناس فى عـصره ، ولايدعو إلى اللحن فى العربية لامن قريب ولامن بعيد ، والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل.

Marfat.com